الخطية
أفسس ٦ : ١٧
لن
تسودكم
إذا لا تملكن الخطية فى جسدكم المائت لكى
تطيعوها فى شهواته (رو ٦: ١٢)
تأليف : تشالز فتش

لن أعرض عليك سوى آرائي عن الحق التي أشعر بالاستعداد لمواجهتها في يوم الحساب العظيم والمخوف.

وسأشرح لهم أيضاً - بقدر إمكاني - بلغة كتابية ليروا على اي أساس يستند إيماني وإذا كنت أحرّف كلمة الله أم لا...

إنما المسألة التي تشغلني كل الأنشغال - فيما يتعلق بمصالحي الأبدية - فهي : كيف أكون مطيعاً لهذا الأمر العالي الصادر من الله العليّ : كونوا قديسين لأني أنا قدوس (١ بطرس ١ :١٦؛ انظر لاويين ١١ :٤٤).

تشالز فنش ، عام ١٨٤٠.

اتبعوا السلام مع الجميع، والقداسة التي بدونها لن يرى أحد الرب (عبرانيين ١٢ :١٤).

الْخَطِيَّةَ
لَنْ تسُودَكُمْ

تأليف : تشارلز فِنش

«اُصْحُوا لِلْبِرِّ وَلاَ تُخْطِئُوا»

(١كورنثوس ١٥: ٣٤) .

فهرست المحتويات

آراء في التقديس..... ٥

خطاب إلى أخ من الكنيسة ١١

خطاب إلى مشيخة نيوآرك..... ٦٨

خطاب ١٢١

آراء في التقديس

بقلم تشارلز فِتش ، راعي الكنيسة المشيخية الحُرَّة ،
نيوآرك ، نيوجرسي ، مرشد للكمال للمسيحيين
مجلد ١ ، رقم ٨ ، فبراير ١٨٤٠ .

تمهيد

الرب يسوع المسيح « الَّذِي وَإِنْ لَمْ تَرَوْهُ تُحِبُّونَهُ . ذلِكَ وَإِنْ كُنْتُمْ لاَ تَرَوْنَهُ الآنَ لكِنْ تُؤْمِنُونَ بِهِ ، فَتَبْتَهِجُونَ بِفَرَحٍ لاَ يُنْطَقُ بِهِ وَمَجِيدٍ » (١بطرس ١ : ٨) حقّق لي مؤخراً ، أنا غير المستحق مطلقاً ، عهده الخاص : « الَّذِي يُحِبُّنِي يُحِبُّهُ أَبِي ، وَأَنَا أُحِبُّهُ ، وَأُظْهِرُ لَهُ ذَاتِي » (يوحنا ١٤ : ٢١) . وأنا أشعر أنه من الخِسَّة بمكان ألاّ أعترف جهاراً أنه من تنازل فاديَّ العجيب أمتعني بإظهارات غنية من محبته . وأنا إذ أتحدث عنها لا أقصد إلاَّ مدحه . فهو مَن علمني: « لاَ تَهْتَمُّوا بِشَيْءٍ ، بَلْ فِي كُلِّ شَيْءٍ بِالصَّلاَةِ وَالدُّعَاءِ مَعَ الشُّكْرِ ، لِتُعْلَمْ طِلْبَاتُكُمْ لَدَى اللهِ . وَسَلاَمُ اللهِ الَّذِي يَفُوقُ كُلَّ عَقْل ، يَحْفَظُ قُلُوبَكُمْ وَأَفْكَارَكُمْ فِي

الْمَسِيحِ يَسُوعَ » (فيلبي ٤:٦-٧) . ومن فضلة قلبي تكلم فمي (انظر لوقا ٦: ٤٥) ، فأوضحت لمن يعلمون بخدمتي أني أومن بأن الله قد خلق وسيظل يخلق فيَّ « قَلْباً نَقِيًّا » وأنه يجدد « رُوحًا مُسْتَقِيمًا ... فِي دَاخِلِي » (مزمور ٥١: ١٠) ، وأنه عرَّفني شيئاً من غبطة « أَنْقِيَاءِ الْقَلْبِ » (متى ٥: ٨) . وقد ظن البعض أني « أتلو على مسامعهم أشياء غريبة » ، فانتشر هذا الخبر في المشارق والمغارب . وعليه ، عقدت المشيخة اجتماعاً رغب الإخوة منه – بلياقة كاملة ولطف متناهٍ – أن أخبرهم « مَا هُوَ هذَا التَّعْلِيمُ الْجَدِيدُ »؟ لذلك أفدتهم ببيان مقتضب عن مشاعري وآرائي وأجبت – بقدر استطاعتي – عن أسئلة عديدة . فعيَّنت المشيخة – بلياقة تامة – لجنة لمناقشة هذا الموضوع معي أيضاً . وأنا أوافق على هذا كله . لكن بعد ذلك بوقت وجيز تلقيت مذكرة من أحد أعضاء اللجنة قدَّم فيها بأسلوب لطيف خليق بالمسيح ما يلي من أسئلة ، وطلب الرد عليها :

١ – هل تؤمن أن الكتاب المقدس يعلِّم بأن الناس تكتمل قداستهم في هذه الحياة؟ (لا أطلب أكثر من نعم أو لا .)

٢-مـا هـي الحـالات أو مـن هـي الشـخصيات الـتي كـانت منزَّهـة عـن الخطيـة في تـاريخ الكتـاب المقـدس ، عـدا المسيح؟ (اذكـر الأسمـاء فقـط .)

٣-مـن جُملـة الشـهداء ، الذيـن تسـلمنا سيرهم الذاتيـة ، كـم عدد مَـن تجدهـم كـاملين؟

٤-ألم يكـن أفضـل الرجـال في العصـور الحديثـة يرتكبـون الخطيـة - الكبـير منـها والصغـير - ويدركـون ذلـك أيضـاً؟

٥-وفقـاً لمعلومـاتك، هـل انتـهى المطـاف بمَـن يدعـون الكمـال إلى نهايـة جيـدة مثلمـا انتـهى أولئـك الذيـن خـافوا علـى الـدوام؟

٦-هـل أولئـك المحيطـون بـك الذيـن يدّعـون ذلـك ، أكـثر وداعـة وتشـبهاً بالسـماويين مـن الآخريـن؟

٧-ألا يُكـثِر مُدّعـو الكمـال مـن ارتكـاب أفعـال متضاربـة بشـكل

ملمـوس؟

٨–هـل تُقِـر باعتقـادك أنـك عمومـاً بـلا خطيـة أو عيـب ، في الفكـر والرغبـة والكـلام والأعمـال؟

٩–وهـل عقـدت عزمـك علـى التعليـم بـهذا والدفـاع علنـاً عـن القول بـأن بيننـا رجـال « مـنزهون عـن الخطيـة »؟

لقـد اتخـذت هـذا الطريـق لأكشـف لإخوتـي وللعـالم أجمـع عـن مكنونـات صـدري ، اعتقـاداً مـني بـأن هـذا هـو أسـهل وأفضـل طريق ، مـن كـل جـانب ، وأبتـهج جـداً بإتاحـة الفرصـة لـي لأشـهد للغـير عـن « غِنَـى مَجْـدِ هـذَا السِّـرِّ الَّـذِي هُـوَ الْمَسِـيحُ فِيكُـمْ رَجَـاءُ الْمَجْـدِ » (كولوسـي ١ : ٢٧) . وكلـي أمـل ، بنعمـة الله ، أن أكـون رسـالة حيـة « مَعْرُوفَـةً وَمَقْـرُوءةً مِـنْ جَمِيـعِ النَّـاسِ » (٢كورنثـوس ٣ : ٢) . وأصلـي أن يعـين الله الآخريـن ، كمـا أعـانني ، ليقولـوا : « هُـوَذَا اللهُ خَلاَصِـي فَـأَطْمَئِنُّ وَلاَ أَرْتَعِـبُ ، لأَنَّ يَـاهَ يَـهْوَهَ قُوَّتِـي وَتَرْنِيمَتِـي وَقَـدْ صَـارَ لِـي خَلاَصًـا » ، « فَتَسْـتَقُونَ مِيَاهًـا بِفَـرَحٍ مِـنْ

يَنَابِيعِ الْخَلاَصِ » وتقولون: « احْمَدُوا الرَّبَّ » (إشعياء ١٢: ٢-٤) . وهكذا فإن « مَفْدِيُّو الرَّبِّ يَرْجِعُونَ وَيَأْتُونَ إِلَى صِهْيَوْنَ بِالتَّرَنُّمِ ، وَعَلَى رُؤُوسِهِمْ فَرَحٌ أَبَدِيٌّ . ابْتِهَاجٌ وَفَرَحٌ يُدْرِكَانِهِمْ . يَهْرُبُ الْحُزْنُ وَالتَّنَهُّدُ » (إشعياء ٥١: ١١) . إن « فَرَحَ الرَّبِّ هُوَ قُوَّتُكُمْ » (نحميا ٨: ١٠) .

تشارلز فِتش

خطاب إلى أخ من الكنيسة

أيـها الأخ العزيـز:

رداً علــى طلبــك وإيفــاءً بوعـــدي ، ســأحاول الآن – بمخافـــة الـرب وبدافـع إحساسـي بالمسؤولية أمامـه – أن أعـرض عليـك آرائـــي كاملـةً فيمـا يخـص النقـاط المنطويـة عليـــها أسـئلتك الـتي طرحتــها عليَّ . وآمـل ألاّ تعتـبره مـن غـير الملائـم منّـي أن أقـدم لـك آرائـي عـن الموضـوع كلــه بتوسُّـع ، بـدلاً مـن الــرد علـــى تســاؤلاتك ردوداً قاطعـة . ومثـار تفضيلـي لهـذا النـهج الـذي أتخـذه هنـــا ، رغبتــني في إطلاعـك علـى وجهـة نظـري للموضـوع بشـيء مـن الإسـهاب ، كمـا هـو قـائم في ذهـني . فضـلاً عـن ذلـك ، أنـا أحسـب الموضـوع والمصـالح المتعلقة بـه أجـلّ وأهـمّ مـن تناولهـا علـى هـذا النحـو الموجـز . ولتعلـم أنـي لا أرغـب كتمـان أي شـيء أو المراوغـة في أي شــيء ترغـب أنــت أو المشـيخة في معرفـة آرائـي عنـه . وقصـــدي مــن كـل ذلـك واضـح وصريـح .

غير أني أخشى من المعاناة كثيراً من جرَّاء سوء فهم الآخرين لانطباعاتي عن الحق ، إذا لم أفعل شيئاً أكثر ممّا اقترحتَ في رسالتك .

فاسمح لي إذاً أن أفتح لك قلبي كاملاً كما يليق بالأخ المسيحي تجاه أخيه ، وما أن أصنع ذلك حتى أسلّم الأمر في يد مَن تعلمت أن ألقي عليه كل همومي (انظر ١بطرس ٥: ٧) ، ولا أصبو إلى شيء سوى مجده ، الذي من أجله أحيا . فألقي نفسي الآن وأنا أكتب على إرشاد مَن قال: «أُعَلِّمُكَ وَأُرْشِدُكَ الطَّرِيقَ الَّتِي تَسْلُكُهَا . أَنْصَحُكَ . عَيْنِي عَلَيْكَ» (مزمور ٣٢: ٨) ، و«الَّذِي صَارَ لَنَا حِكْمَةً مِنَ اللهِ وَبِرًّا وَقَدَاسَةً وَفِدَاءً» (١كورنثوس ١: ٣٠) ، والقائل: «إِنْ كَانَ أَحَدُكُمْ تُعْوِزُهُ حِكْمَةٌ ، فَلْيَطْلُبْ مِنَ اللهِ الَّذِي يُعْطِي الْجَمِيعَ بِسَخَاءٍ وَلاَ يُعَيِّرُ ، فَسَيُعْطَى لَهُ» (يعقوب ١: ٥) . لن أعرض عليك سوى آرائي عن الحق التي أشعر بالاستعداد لمواجهتها في يوم الحساب العظيم والمخوف .

وسأشرح لهم أيضاً – بقدر إمكاني – بلغة كتابية ليروا على أي أساس يستند إيماني وإذا كنت أحرِّف كلمة الله أم لا .

فاسمح لي إذاً أن أستهل قولي بأني أجد نفسي – في حالتي الطبيعة – متعدياً لناموس الله الأقدس والأبر ، وأني مذنب إلى الدرجة التي أستحق معها العقاب « بِهَلاَكٍ أَبَدِيٍّ مِنْ وَجْهِ الرَّبِّ وَمِنْ مَجْدِ قُوَّتِهِ » (٢تسالونيكي ١ : ٩) . كما أجد نفسي عاجزاً تماماً عن تقديم ولو أقل فداء عن خطاياي التي تبلغ العشرة آلاف خطية ، أو أن أجد لأيٍّ منها مُسوِّغاً [مبرراً أو عذراً] . في ذاتي لا أزال ، وينبغي أن أظل إلى الأبد، إنساناً هالكاً لا أمل له أمام العالم ، مقضياً عليه بالفناء في الجحيم . لكني أعلم من الإنجيل أن الرب يسوع المسيح قد وفَّى العدالة الإلهية – بفضل ذبيحته الكفارية عن خطاياي – فشق طريقاً جديداً للإفلات من عقاب الخطية ، شريطة أن أتمتع بـ« الْقَدَاسَةَ الَّتِي بِدُونِهَا لَنْ يَرَى أَحَدٌ الرَّبَّ » (عبرانيين ١٢ : ١٤) .

إنما المسألة التي تشغلني كل الانشغال – فيما يتعلق بمصالحي الأبدية – فهي: كيف أكون مطيعاً لهذا الأمر العالي الصادر من الله العليّ: « كُونُوا قِدِّيسِينَ لأَنِّي أَنَا قُدُّوسٌ » (١بطرس ١ : ١٦؛ انظر لاويين ١١ : ٤٤) . أنا لا أتوقع ، بل لا أستطيع أن أتوقع ، ولا ينبغي أن أتوقع ، السكن حيث يسكن

الله – فأكون موضوع محبته إلى الأبد ومشاركاً للسعادة الأبدية التي لا يمكن لغيره أن يمنحها – ما لم يكن خُلُقي متماثلاً مع خُلُقه تماماً ، فأحب ما يحب من قلب كامل وغير منقسم ، وأكره ما يكره ، بل كل ما يكره ، كراهيةً تامة ، كاملة ، مستديمة ، ومتماثلة مع كراهيته . كما ينبغي أن لا يكون فيّ شغف بأي فكرة أو إحساس لا يتفق مع ذات الله وأفعاله اتفاقاً كاملاً وتاماً ومبهجاً . ينبغي أن أتحلّى بهذا الخلق ، وإلاّ فلن أرى وجه الله أبداً في سلام .

ولكن كيف لي أن أتحلّى بمثل هذا الخلق؟ فكل شعور في قلبي ، في حالتي الطبيعية ، يتعارض مع الله تماماً – فيوجد فيّ الذهن الجسدي ، الذي هو عداوة له . فكيف لهذه الكراهية أن تنتج محبة تهيم وتبتهج به إلى أقصى حد؟ توجد فيّ بالطبيعة كل عناصر الجحيم ، التي حينما يمسها غضب الله المُستحَق ستحترق في نار جهنم . فكيف تكون لي طبيعة تتناسب مع السماء؟ أنا أُقِرّ جهراً بالتزامي بأن أتوقف عن كراهية الله في الحال ، وأن أحبه فوراً وإلى الأبد من قلب غير منقسم . « فَإِنِّي أَعْلَمُ أَنَّهُ لَيْسَ سَاكِنٌ فِيَّ ، أَيْ فِي جَسَدِي ، شَيْءٌ صَالِحٌ . لأَنَّ

الإِرَادَةَ حَاضِرَةٌ عِنْدِي ، وَأَمَّا أَنْ أَفْعَلَ الْحُسْنَى فَلَسْتُ أَجِدُ . لأَنِّي لَسْتُ أَفْعَلُ الصَّالِحَ الَّذِي أُرِيدُهُ ، بَلِ الشَّرَّ الَّذِي لَسْتُ أُرِيدُهُ فَإِيَّاهُ أَفْعَلُ ... إِذًا أَجِدُ النَّامُوسَ لِي حِينَمَا أُرِيدُ أَنْ أَفْعَلَ الْحُسْنَى أَنَّ الشَّرَّ حَاضِرٌ عِنْدِي . فَإِنِّي أُسَرُّ بِنَامُوسِ اللهِ بِحَسَبِ الإِنْسَانِ الْبَاطِنِ . وَلكِنِّي أَرَى نَامُوسًا آخَرَ فِي أَعْضَائِي يُحَارِبُ نَامُوسَ ذِهْنِي ، وَيَسْبِينِي إِلَى نَامُوسِ الْخَطِيَّةِ الْكَائِنِ فِي أَعْضَائِي . وَيْحِي أَنَا الإِنْسَانُ الشَّقِيُّ! مَنْ يُنْقِذُنِي مِنْ جَسَدِ هذَا الْمَوْتِ؟ » (رومية ٧: ١٨-١٩ ،٢١-٢٤) .

هذه هي دعواي . المسيح قد مات بسبب خطاياي ، وحُكم الله مستعد لفك أسري – ولكن من ينقذني من « قَلْب شِرِّير بِعَدَمِ إِيمَانٍ فِي الارْتِدَادِ عَنِ اللهِ الْحَيِّ »؟ (عبرانيين ٣: ١٢) . فبقلب كقلبي المتأثر بإغراءات إبليس وإغواءات العالم الخاطئ ، من المؤكد أني سأبقى رهن الخطية إلى الأبد ، مثل الشيطان ، ويجب أن أتخذ مسكني معه إلى الأبد .

فما أحتاجه إذاً ، وما تصرخ في طلبه ضرورات طبيعتي الساقطة بصوت عالٍ ومرير للغاية هو: مخلص ينقذني من

الخطيـة . فـلا ينفعـني شـيء أن المسيح كفّـر عـن ذنوبـي ، إذا كنـت منكبـاً علـى مـواردي الشـخصية . فـإن الكائنـات المقدسـة سـقطت أمـام مكـايد ذلـك المغـوي المـاكر ، الـذي هـو « كَأَسَـدٍ زَائِـرٍ ، يَجُـولُ مُلْتَمِسًـا مَـنْ يَبْتَلِعُـهُ هُـوَ » (١بطـرس ٥: ٨) ، ولا شـك أن قلـبي الشـرير سـيوقعني فريسـة راغبـة . إنـي مقضـي علـيّ بـالهلاك الأبدي مـا لم أجـد منقـذاً مـن الخطيـة .

ولـن أخلّـص نفسـي مـن الخطيـة ، فخصومـي الروحيـون يقفـون مستعدين لالتـهامي ، وقلـبي الشـرير سـيزُجّ بـي في فـم الأسـد – في فـك الجحيـم المتسـع المفتـوح! فتصعـد مـن أعمـاق نفسـي صرخـة الاسـتغاثة هـذه: النجـدة! النجـدة! هـل توجـد – في كـون الله الفسـيح – أي وسـيلة لإنقـاذ خـاطئ بـائس هـالك ، مـن محبتـه للخطيـة؟ أي وسـيلة لتطـهير قلبـه المُلـوَّث ، وملئـه بالقداسـة – القداسـة النقيـة ، الكاملـة ، المسـتديمة ، الـتي بدونـها لا يمكـن لمثل هـذا الإنسـان أن يُقبَـل في السماء؟

فـأقبلت ، يـا أخـي العزيـز ، علـى الكتـاب المقدس للبحـث عـن رد لهـذا السـؤال . هـل أعلـن الله مثـل هـذا الأمـر كوسـيلة للخـلاص

من الخطية؟ وإذا وُجِد مثل هذا الخلاص ، فلابد أنه في الكتاب المقدس . وإذا لم أجده في الكتاب المقدس ، فإن كل شعاع ضوء ينطفئ من أفق نفسي ويُطبِق عليّ ليل اليأس الأبدي .

حقاً يقولون لي إني قد أتخلص من الخطية لدى موتي ، لكن هذا رجاء مَن يؤمن بخلاص الناس جميعاً دون تفريق . وقد يُقال لي إن المؤمن بخلاص الناس دون تفريق لم يولد ثانيةً وأن من يولد ثانية سيخلُص حتماً من الخطية عند مغادرته العالم . غير أني لا أعرف شيئاً يمكنني أن أسند عليه الاعتقاد بأن الموت هو وقت أو وسيلة التقديس . وإيماني هو أن « فِي الْمَوْضِعِ حَيْثُ تَقَعُ الشَّجَرَةُ هُنَاكَ تَكُونُ » (الجامعة ١١ : ٣) ، وأنه « لَيْسَ مِنْ عَمَل وَلاَ اخْتِرَاعٍ وَلاَ مَعْرِفَةٍ وَلاَ حِكْمَةٍ فِي الْهَاوِيَةِ الَّتِي أَنْتَ ذَاهِبٌ إِلَيْهَا » (الجامعة ٩: ١٠) ، وأنه إذا غادر إنسان العالم في خطاياه ، فسيبقى خاطئاً للأبد . أنا أومن أن هذا هو إمهالي الوحيد ، وأني يجب أن أتخلص من الخطية هنا ، أو لا أرى وجه الله أبداً في سلام . لذلك أن أومن أن مصالحي الأبدية متعلقة على السؤال: هل دبَّر الله تدبيراً لخلاصي من الخطية قبل مغادرتي لهذا العالم ؟ وتفادياً لسوء الفهم ، أقول هنا إني أبعد

ما أكون عن الاعتقاد بأن الإنسان المتجدد – على ما تبقّى فيه من خطية – في نفس حالة المؤمن بخلاص العالم أجمع الذي لم يتجدد قط ، ولكن ليس لكليهما أي سبب يدفعهما إلى الاعتقاد بأن الموت سيجري أي تعديل في أخلاقهما . فإذا لم يكن ثمة خلاص من الخطية قبل الموت ، فأتوقع إذاً أن أهلك . ولذلك فلكي أوضح الموضوع هنا أتم توضيح ، بحسب فهمي له بقدر الإمكان ، سوف أطرح أسئلة ثلاثة:

١– هل أعد الله – في تدبير نعمته – العدة لخلاص شعبه من خطاياهم؟

٢– إذا كانت مثل هذه العدة قد أُعدَّت ، فهل للمسيحيين أن ينتفعوا بها في هذه الحياة؟

٣– بأي وسيلة يمكن أن تتاح إعدادات نعمة الله لخلاص شعبه من خطاياهم؟

هل أعد الله – في تدبير نعمته – العدة لخلاص شعبه من خطاياهم؟

أجد أنه قيل ليوسف على فم الملاك ، فيما يتعلق بالمسيح الموعود ، في متى ١: ٢١ « فَسَتَلِدُ ابْنًا وَتَدْعُو اسْمَهُ يَسُوعَ (أي مخلِّص) . لأَنَّهُ يُخَلِّصُ شَعْبَهُ مِنْ خَطَايَاهُمْ » . لأجل هذا الغرض عينه إذاً هو مخلّصي ليخلّصني من خطاياي ، وهو بالضبط المخلّص الذي أحتاجه .

حينما أشار يوحنا المعمدان إلى المسيح ، قال: « هُوَذَا حَمَلُ اللهِ الَّذِي يَرْفَعُ خَطِيَّةَ الْعَالَمِ! » (يوحنا ١ :٢٩) . وهذا ما أحتاج: مخلصاً ينزع خطيتي . ونقرأ أيضاً في الرسالة إلى أهل أفسس أنه: « اخْتَارَنَا فِيهِ قَبْلَ تَأْسِيسِ الْعَالَمِ ، لِنَكُونَ قِدِّيسِينَ وَبِلاَ لَوْمٍ قُدَّامَهُ فِي الْمَحَبَّةِ » (أفسس ١ :٤) ، وأن المسيح « أَحَبَّ ... الْكَنِيسَةَ وَأَسْلَمَ نَفْسَهُ لأَجْلِهَا ، لِكَيْ يُقَدِّسَهَا ، مُطَهِّرًا إِيَّاهَا بِغَسْلِ الْمَاءِ بِالْكَلِمَةِ ، لِكَيْ يُحْضِرَهَا لِنَفْسِهِ كَنِيسَةً مَجِيدَةً ، لاَ دَنَسَ فِيهَا وَلاَ غَضْنَ أَوْ شَيْءٌ مِنْ مِثْلِ ذلِكَ ، بَلْ تَكُونُ مُقَدَّسَةً وَبِلاَ عَيْبٍ » (أفسس ٥ :٢٥-٢٧) .

وفي الرسالة إلى تيطس نقرأ أن « اللهِ الْعَظِيمِ وَمُخَلِّصِنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ ، الَّذِي بَذَلَ نَفْسَهُ لأَجْلِنَا ، لِكَيْ يَفْدِيَنَا مِنْ كُلِّ إِثْمٍ ،

وَيُطَهِّرَ لِنَفْسِهِ شَعْبًا خَاصًّا غَيُورًا فِي أَعْمَال حَسَنَةٍ » (تيطس ٢:١٣-١٤) . وفي الرسالة إلى العبرانيين يوصف المسيح بأنه وسيط العهد الجديد ، وهو المذكور في إرميا ٣١:٣٣ « أَجْعَلُ شَرِيعَتِي فِي دَاخِلِهِمْ وَأَكْتُبُهَا عَلَى قُلُوبِهِمْ ، وَأَكُونُ لَهُمْ إِلهًا وَهُمْ يَكُونُونَ لِي شَعْبًا » . « وَلَنْ أَذْكُرَ خَطَايَاهُمْ وَتَعَدِّيَاتِهِمْ فِي مَا بَعْدُ » (عبرانيين ١٠:١٧) . وفي الأصحاح الثالث من رسالة يوحنا الأولى يرد القول: « كُلُّ مَنْ يَفْعَلُ الْخَطِيَّةَ يَفْعَلُ التَّعَدِّيَ أَيْضًا . وَالْخَطِيَّةُ هِيَ التَّعَدِّي . وَتَعْلَمُونَ أَنَّ ذَاكَ أُظْهِرَ لِكَيْ يَرْفَعَ خَطَايَانَا » [أي ليـنزع تعدياتنا للناموس ويتركنا في حالة طاعة] . « وَلَيْسَ فِيهِ خَطِيَّةٌ . كُلُّ مَنْ يَثْبُتُ فِيهِ لاَ يُخْطِئُ . كُلُّ مَنْ يُخْطِئُ لَمْ يُبْصِرْهُ وَلاَ عَرَفَهُ » (١يوحنا ٣:٤-٦) .

والآن يا أخي العزيز ، أنا أومن أن المسيح جاء لـ « يُخَلِّصُ شَعْبَهُ مِنْ خَطَايَاهُمْ » « لِنَكُونَ قِدِّيسِينَ وَبِلاَ لَوْمٍ قُدَّامَهُ فِي الْمَحَبَّةِ » « لِكَيْ يُحْضِرَهَا لِنَفْسِهِ كَنِيسَةً مَجِيدَةً ، لاَ دَنَسَ فِيهَا وَلاَ غَضْنَ أَوْ شَيْءٌ مِنْ مِثْلِ ذلِكَ ، بَلْ تَكُونُ مُقَدَّسَةً وَبِلاَ عَيْبٍ » « لِكَيْ يَفْدِيَنَا مِنْ كُلِّ إِثْمٍ ، وَيُطَهِّرَ لِنَفْسِهِ شَعْبًا خَاصًّا غَيُورًا فِي أَعْمَال حَسَنَةٍ » « أَجْعَلُ نَوَامِيسِي فِي قُلُوبِهِمْ وَأَكْتُبُهَا فِي

أَذْهَانِهِمْ » (عبرانيين ١٠: ١٦) ، و« لِكَيْ يَرْفَعَ خَطَايَانَا ... كُلُّ مَنْ يَثْبُتُ فِيهِ لاَ يُخْطِئُ » . هذا إذاً ما أومن أنه الخلاص الإنجيلي – أن المسيح جاء ، بحسب كلام الملاك إلى دانيال « لِتَكْمِيلِ الْمَعْصِيَةِ وَتَتْمِيمِ الْخَطَايَا ، وَلِكَفَّارَةِ الإِثْمِ ، وَلِيُؤْتَى بِالْبِرِّ الأَبَدِيِّ » (دانيال ٩: ٢٤) ، الذي على أساسه أحظى بالنجاة من العقاب الذي تستحقه الخطية . فأجد إذاً ، بوضوح وكفاية كبرى ، أن الله في تدبير نعمته قد أعد العُدَّة لـ« يُخَلِّصُ شَعْبَهُ مِنْ خَطَايَاهُمْ » . فأرحّب بهذا الخلاص إذاً باعتباره خلاصاً متطابقاً تماماً مع احتياجاتي الضرورية ككائن ساقط ، وفي حين يستبد بي اليأس من تخليص ذاتي من الخطية ، أرحب بالرب يسوع المسيح مخلصاً ، الذي أُظهِر لينزع خطاياي ويكتب ناموسه على لوح قلبي ويفديني من كل إثم ويجعلني قدوساً بلا لوم أمامه في المحبة ليطهّرني بغسل الماء بالكلمة ، لكي يحضرني لنفسه ، لا دنس فيَّ ولا غضن أو أي شيء من مثل ذلك ، بل أكون مقدساً وبلا عيب .

إذاً فقد وجدت المخلّص والخلاص الذي أريد ، مُعلَناً لي بجلاء في كلمة الله؛ وعلى هذا المخلص ألقي نفسي وكياني من

الآن وإلى الأبد ، أنا الذي في ذاتي خاطئ بلا رجاء وعديم الحيلة ، ولكني بثقتي في المخلّص الذي « فِيهِ يَحِلُّ كُلُّ مِلْءِ اللاَّهُوتِ جَسَدِيًّا » (كولوسي ٢ : ٩-١٠) ، أستطيع أن أتوقع من خلال خلاصه أن « تَتْأَصَّلُوا كَامِلِينَ وَمُمْتَلِئِينَ فِي كُلِّ مَشِيئَةِ اللهِ » (كولوسي ٤ : ١٢) . هذا هو رجاء الحياة الأبدية الذي لي ، أن يسوع المسيح فاديَّ سيخلصني من خطاياي ، ومقارنةً بهذا الرجاء يصبح العالم المادي كله أقل قيمةً من « غُبَارِ الْمِيزَانِ » (إشعياء ٤٠ : ١٥) . خذوا مني هذا الرجاء ، فتطمسوا النور من نفسي ، وتتركوني في قتام الظلام إلى الأبد .

إذاً فأنا أومن أن العدة قد أعدت كاملةً في الإنجيل لخلاص شعب الله من خطاياهم .

والآن سأقوم بالتحقيق فيما إذا كان المسيحيون يستطيعون الانتفاع بتدبير نعمة الله هذا ، فيخلصون من الخطية في هذه الحياة .

في الإصحاح الأول من إنجيل لوقا أجد أن زكريا تنبأ ، ممتلئاً من الروح القدس ، قائلاً : « مُبَارَكٌ الرَّبُّ إِلهُ إِسْرَائِيلَ

لأَنَّهُ افْتَقَدَ وَصَنَعَ فِدَاءً لِشَعْبِهِ ، وَأَقَامَ لَنَا قَرْنَ خَلاَصٍ فِي بَيْتِ دَاوُدَ فَتَاهُ . كَمَا تَكَلَّمَ بِفَمِ أَنْبِيَائِهِ الْقِدِّيسِينَ الَّذِينَ هُمْ مُنْذُ الدَّهْرِ ، خَلاَصٍ مِنْ أَعْدَائِنَا وَمِنْ أَيْدِي جَمِيعِ مُبْغِضِينَا . لِيَصْنَعَ رَحْمَةً مَعَ آبَائِنَا وَيَذْكُرَ عَهْدَهُ الْمُقَدَّسَ ، الْقَسَمَ الَّذِي حَلَفَ لإِبْرَاهِيمَ أَبِينَا : أَنْ يُعْطِيَنَا إِنَّنَا بِلاَ خَوْفٍ ، مُنْقَذِينَ مِنْ أَيْدِي أَعْدَائِنَا ، نَعْبُدُهُ بِقَدَاسَةٍ وَبِرّ قُدَّامَهُ جَمِيعَ أَيَّامِ حَيَاتِنَا » (لوقا ١ :٦٨-٧٥) . على ذلك فأنا أومن أننا نحن الذين نخدم الله « بِلاَ خَوْفٍ ... بِقَدَاسَةٍ وَبِرّ قُدَّامَهُ جَمِيعَ أَيَّامِ حَيَاتِنَا » نخلص من الخطية جميع أيام حياتنا . وأومن أن الله حلف « لإِبْرَاهِيمَ أَبِينَا : أَنْ يُعْطِيَنَا إِنَّنَا بِلاَ خَوْفٍ ، مُنْقَذِينَ مِنْ أَيْدِي أَعْدَائِنَا ، نَعْبُدُهُ بِقَدَاسَةٍ وَبِرّ قُدَّامَهُ جَمِيعَ أَيَّامِ حَيَاتِنَا » ، وأنه أقام لنا قرن خلاص لنؤدي هذه الرحمة الموعودة لآبائنا ونتذكر هذا العهد المقدس ، أي هذا القسم الذي أقسمه . وإيماني بهذا كله إنما ينبني على شهادة رجل مملوء بالروح القدس . وحيث أني أومن أنه يمكن الاتكال على قسم الله ، لاسيما أن المسيح جاء خصيصاً ليتمم هذا القسم ، وحيث أن هذا القسم يضمن بالفعل السلوك أمام الله في قداسة وبر جميع أيام

حياتنا ، فأنا مضطر إلى تصديقه . ولا أتجاسر بالإساءة في حق الله فأظن أنه غير مستعد للوفاء بقسمه ، خاصةً وأن المسيح جاء بنفسه ليتممه . مكتوب: « مَنْ لاَ يُصَدِّقُ اللهَ ، فَقَدْ جَعَلَهُ كَاذِبًا » (١يوحنا ٥: ١٠) . فلا ينبغي أن أجعل الله كاذباً بقولي إنه غير أمين في تحقيق قسمه .

كذلك لما قال تلاميذ المسيح: « يَا رَبُّ ، عَلِّمْنَا أَنْ نُصَلِّيَ » (لوقا ١١: ١) ، أوصاهم أن يصلوا قائلين: « لِتَكُنْ مَشِيئَتُكَ كَمَا فِي السَّمَاءِ كَذلِكَ عَلَى الأَرْضِ » (متى ٦: ١٠) . فإذا كانت مشيئة الله تتم في السماء بالطاعة المنزهة عن الخطإ ، فالمسيح يعلمنا أن نصلي من أجل نفس الشيء على الأرض ، وأنا لا أظن أن المسيح علّمنا أن نصلي من أجل شيء هو غير راغب أن يمنحه إيانا . وأيضاً يعلمنا أن نصلي: « وَإِلهُ السَّلاَمِ نَفْسُهُ يُقَدِّسُكُمْ بِالتَّمَامِ . وَلْتُحْفَظْ رُوحُكُمْ وَنَفْسُكُمْ وَجَسَدُكُمْ كَامِلَةً بِلاَ لَوْمٍ عِنْدَ مَجِيءِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ » ، ضامنين أنه « أَمِينٌ هُوَ الَّذِي يَدْعُوكُمُ الَّذِي سَيَفْعَلُ أَيْضًا » (١تسالونيكي ٥: ٢٣-٢٤) . ومن ذلك أيضاً أنه « إِنِ اعْتَرَفْنَا بِخَطَايَانَا فَهُوَ أَمِينٌ وَعَادِلٌ ، حَتَّى يَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَيُطَهِّرَنَا مِنْ كُلِّ إِثْمٍ » (١يوحنا ١: ٩) . ولا شك عندي أنه أمين

في غفرانه تماماً كما هو في تطهيره . ولا عِلم عندي بأي سبب يضطرني لانتظار الغفران أو التطهير حتى الموت .

وتعزيزاً لبرهاني على إمكانية انتفاع المؤمنين بنعمة الله بالخلاص من الخطية في هذه الحياة ، سأوجّه ردي مباشرة إلى سؤالك: من ، بخلاف المسيح ، كان منزَّهاً عن الخطية في تاريخ الكتاب المقدس؟ قد استشهدت بكلام مَن هتف ، في مواجهة عبوديته لناموس الخطية والموت: « وَيْحِي أَنَا الإِنْسَانُ الشَّقِيُّ! مَنْ يُنْقِذُنِي مِنْ جَسَدِ هذَا الْمَوْتِ؟ » ورداً على تساؤله يقول: « أَشْكُرُ اللهَ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ رَبِّنَا! إِذًا أَنَا نَفْسِي بِذِهْنِي أَخْدِمُ نَامُوسَ اللهِ ، وَلكِنْ بِالْجَسَدِ نَامُوسَ الْخَطِيَّةِ » (رومية ٧: ٢٤-٢٥) . فضلاً عن ذلك ، يقول: « إِذًا لاَ شَيْءَ مِنَ الدَّيْنُونَةِ الآنَ عَلَى الَّذِينَ هُمْ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ ، السَّالِكِينَ لَيْسَ حَسَبَ الْجَسَدِ بَلْ حَسَبَ الرُّوحِ . لأَنَّ نَامُوسَ رُوحِ الْحَيَاةِ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ قَدْ أَعْتَقَنِي مِنْ نَامُوسِ الْخَطِيَّةِ وَالْمَوْتِ . لأَنَّهُ مَا كَانَ النَّامُوسُ عَاجِزًا عَنْهُ ، فِي مَا كَانَ ضَعِيفًا بِالْجَسَدِ ، فَاللهُ إِذْ أَرْسَلَ ابْنَهُ فِي شِبْهِ جَسَدِ الْخَطِيَّةِ ، وَلأَجْلِ الْخَطِيَّةِ ، دَانَ الْخَطِيَّةَ فِي الْجَسَدِ ، لِكَيْ يَتِمَّ حُكْمُ النَّامُوسِ فِينَا ، نَحْنُ السَّالِكِينَ لَيْسَ حَسَبَ الْجَسَدِ

بَـلْ حَسَـبَ الـرُّوحِ » (رومية ٨: ١-٤) . إذاً فـإن بولـس وجـد الوسـيلة للانعتـاق مـن نـاموس الخطيـة والمـوت وتتميـم حكـم النـاموس فيـه . ولابـد أن هـذه الوسيلة ليست سوى محبـة الله مـن كـل القلـب ، ومحبـة قريبـه كنفسـه ، لأن مـن يفعـل أقـل مـن ذلـك متعـدٍ . ومـا كـان النـاموس ليقـدر أن يصنـع هـذا نظـراً لضعـف الجسد . لكـن الله أتم ذلـك مـن خـلال المسـيح – فتمـم فيـه حكـم النـاموس ، وبذلـك جعلـه حـراً مـن نـاموس الخطيـة الـذي كـان قبـلاً يئـن تحتـه في الدينونـة . فصـار الآن حـراً مـن الدينونـة ، ولكـن كيـف يمكـن لأولئـك أن يتحـرروا مـن الدينونـة وهـم يداومـون علـى ارتكـاب الخطيـة في حـق الله؟ هـذا مـا يسـتحيل علـيَّ فهمـه . لقـد وجـد أنـه لا دينونـة علـى الذيـن هـم في المسـيح يسـوع ، ويخبرنـا يوحنـا أن مَـن يثبتـون في المسيح لا يخطئـون .

يقـول الرسـول بولـس أيضـاً في موضـع آخـر إن: « الَّـذِي مَـاتَ قَـدْ تَـبَرَّأَ مِـنَ الْخَطِيَّـةِ » (رومية ٦: ٧) . إذاً فـإن كنـا متنـا مـع المسـيح ، نؤمـن أننـا سـنحيا معـه أيضـاً . وإذا متنـا عـن الخطيـة علـى مثـال مـوت المسـيح ، فسنسـلك في جِـدّة الحيـاة علـى مثـال قيامتـه . « الْمَسِيحَ بَعْدَمَـا أُقِيـمَ مِـنَ الأَمْـوَاتِ لاَ يَمُـوتُ أَيْضًـا . لاَ يَسُـودُ عَلَيْـهِ

الْمَوْتُ بَعْدُ » (رومية ٦ : ٩) ، وكذلك نحن إن متنا عن الخطية فلن تسودنا بعد . ومن ثَمَّ كانت وصية الرسول: « كَذلِكَ أَنْتُمْ أَيْضًا احْسِبُوا أَنْفُسَكُمْ أَمْوَاتًا [مثلي] عَنِ الْخَطِيَّةِ ، وَلكِنْ أَحْيَاءً لِلهِ بِالْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبِّنَا » (رومية ٦ : ١١) . اِحسبوا أنفسكم أمواتاً عن الخطية بالثقة في المسيح أن يحفظكم هكذا أحياءً . وقد يُقال إن شخصاً ما يحسب نفسه ميتاً عن الخطية ما دام قد تاب مرةً ، مع أنه الآن يستمر في الخطية كل يوم . لكن إذا وجدت شخصاً سكرانَ كل يوم فلن أحسبه ميتاً عن الخطية ، مهما قال عن توبته في الماضي – ونفس الشيء يصح بشأن أي خطية أخرى سواء في الفكر أو القول أو العمل . ليس الإنسان ميتاً عن الخطية طالما أنه يستمر في ارتكابها؛ فكما أن المسيح مات مرة واحدة ، ولن يموت بعد ، هكذا الإنسان الذي مات عن الخطية: لا يخطئ بعد . فإن وقع في الخطية فهو لم يمت عنها . كانت هذه مشاعر بولس ، ونظراً لعجزي عن اتهامه بالتناقض بين مواعظه وأعماله ، فعليَّ أن أصدق كونه ميتاً عن الخطية وحياً لله، وأنه كان حراً من الدينونة في المسيح يسوع ، فثبت فيه ولم يخطئ .

ثم نسمع هذا الرسول يقول في مكان آخر: « مَعَ الْمَسِيحِ

صُلِبْتُ ، فَأَحْيَا لاَ أَنَا ، بَلِ الْمَسِيحُ يَحْيَا فِيَّ . فَمَا أَحْيَاهُ الآنَ فِي الْجَسَدِ ، فَإِنَّمَا أَحْيَاهُ فِي الإِيمَانِ ، إِيمَانِ ابْنِ اللهِ ، الَّذِي أَحَبَّنِي وَأَسْلَمَ نَفْسَهُ لأَجْلِي . لَسْتُ أُبْطِلُ نِعْمَةَ اللهِ . لأَنَّهُ إِنْ كَانَ بِالنَّامُوسِ بِرٌّ ، فَالْمَسِيحُ إِذًا مَاتَ بِلاَ سَبَبٍ! » (غلاطية ٢ : ٢٠-٢١) . لا أستطيع أن أتصور استعمال إنسان لمثل هذه اللهجة وهو يعيش في الخطية يوماً بعد يوم . إذا كان الإنسان قد صُلِب مع المسيح ، فلابد أنه ميت عن الخطية ، ويخبرنا الرسول أن مثل هذا الإنسان « قَدْ تَبَرَّأَ مِنَ الْخَطِيَّةِ » . فلا يقدر أحد أن يقول: « أنا على يقين تام بأني « أَحْيَا لاَ أَنَا ، بَلِ الْمَسِيحُ يَحْيَا فِيَّ » . » وهو عالم أنه يحيا في الخطية . وبالمثل لا يقدر أن يقول مَن يحيا في الخطية: « فَمَا أَحْيَاهُ الآنَ فِي الْجَسَدِ ، فَإِنَّمَا أَحْيَاهُ فِي الإِيمَانِ ، إِيمَانِ ابْنِ اللهِ ، الَّذِي أَحَبَّنِي وَأَسْلَمَ نَفْسَهُ لأَجْلِي » . يقول بولس: « لَسْتُ أُبْطِلُ نِعْمَةَ اللهِ » ، أي لا أتوقع تتميم البر بمجهوداتي الشخصية دون معاونة طاعةً للناموس ، وإنما أعتمد على أمانة المسيح الذي يحبني ليحفظني .

وتعلّم بطرس أيضاً أنه: « كَمَا أَنَّ قُدْرَتَهُ الإِلهِيَّةَ قَدْ وَهَبَتْ لَنَا كُلَّ مَا هُوَ لِلْحَيَاةِ وَالتَّقْوَى ، بِمَعْرِفَةِ الَّذِي دَعَانَا بِالْمَجْدِ

وَالْفَضِيلَـةِ ، اللَّذَيْـنِ بِـهِمَا قَـدْ وَهَـبَ لَنَـا الْمَوَاعِيـدَ الْعُظْمَـى وَالثَّمِينَـةَ ، لِكَـيْ تَصِيرُوا بِـهَا شُـرَكَاءَ الطَّبِيعَـةِ الإِلهِيَّـةِ ، هَـارِبِينَ مِـنَ الْفَسَـادِ الَّـذِي فِـي الْعَـالَمِ بِالشَّـهْوَةِ » (٢بطـرس ١ :٣-٤) . لا شـك عندي أن بطـرس اختـبر في قلبـه مـا كتبـه ، ولذلـك أنـا أومـن أنـه لما جُعِـل شـريكاً في الطبيعـة الإلهيـة بواسـطة مواعيـد الله العظمـى والثمينـة ، وهـرب مـن الفسـاد الـذي في العـالم بالشـهوة ، فـ« كُـلُّ مَنْ يَثْبُـتُ فِيـهِ لاَ يُخْطِـئُ » .

وأعلـن يوحنـا أيضـاً ، في رسـالته الأولى إلى مَـن كتـب لهـم: « الَّـذِي سَـمِعْنَاهُ ، الَّـذِي رَأَيْنَـاهُ بِعُيُونِنَـا ، الَّـذِي شَـاهَدْنَاهُ ، وَلَمَسَـتْهُ أَيْدِينَـا ، مِـنْ جِهَـةِ كَلِمَـةِ الْحَيَـاةِ » (١يوحنـا ١ :١) . إذاً فقد كتـب عـن اختبـار . لقـد رأى وأحـس في نفسـه أن « اللهَ نُـورٌ وَلَيْسَ فِيـهِ ظُلْمَـةٌ الْبَتَّـةَ » (١يوحنـا ١ :٥) ، وانـه حـين نسـلك في النـور – في شـركة مـع الله – « دَمُ يَسُـوعَ الْمَسِـيحِ ابْنِـهِ يُطَـهِّرُنَا مِـنْ كُـلِّ خَطِيَّـةٍ » (١يوحنـا ١ :٧) . كمـا أحـس يوحنـا ورأى أنـه « إِنِ اعْتَرَفْنَـا بِخَطَايَانَـا فَـهُوَ أَمِـينٌ وَعَـادِلٌ ، حَتَّـى يَغْفِـرَ لَنَـا خَطَايَانَـا وَيُطَـهِّرَنَا مِـنْ كُـلِّ إِثْـمٍ » . وتعلّـم مـن اختبـاره الشخصي أنـه « أُظْـهِرَ لِكَـيْ يَرْفَـعَ خَطَايَانَـا » . لقـد سمـع هـذه الحقيقـة ورآهـا بعينـه

وتلامس معها . فضلاً عن ذلك ، تعلّم أن « كُلُّ مَنْ يَثْبُتُ فِيهِ لاَ يُخْطِئُ » ، وأن « كُلُّ مَنْ هُوَ مَوْلُودٌ مِنَ اللهِ لاَ يَفْعَلُ خَطِيَّةً ، لأَنَّ زَرْعَهُ يَثْبُتُ فِيهِ ، وَلاَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُخْطِئَ لأَنَّهُ مَوْلُودٌ مِنَ اللهِ » (١يوحنا ٣:٩) . لا يداخلني شك في أن يوحنا وضع مبادئه الشخصية موضع التنفيذ ، لاسيما أنه لم يكتب سوى ما سمعه ورآه ولمسته يداه من جهة كلمة الحياة ، ولذلك فهو قد ثبت في المسيح ولم يخطئ .

من ثمَّ ، يا أخي العزيز ، أكون قد أريتك على نحو قاطع أنه في تدبير نعمة الله توجد إمدادات تمكّننا كمسيحيين من السلوك أمام الله « بِقَدَاسَةٍ وَبِرّ قُدَّامَهُ جَمِيعَ أَيَّامِ حَيَاتِنَا » و« كُلُّ مَنْ يَثْبُتُ فِيهِ لاَ يُخْطِئُ » . وبذلك أكون قد قدّمت لك آرائي كاملةً بخصوص إمكانية تحقيق القداسة في هذه الحياة ، وما إذا كان أحد قد حققها أم لا .

والآن عليَّ أن أبحث في الوسيلة التي بها تتاح إمدادات نعمة الله للمؤمن المسيحي .

كانت صلاة مخلّصنا : « قَدِّسْهُمْ فِي حَقِّكَ . كَلاَمُكَ هُوَ حَقٌّ »

(يوحنا ١٧: ١٧) .

فبأي حق يتقدس المؤمن؟

١- ليس بأحكام الكتاب المقدس - أياً كانت - بواسطة مجهوداته الشخصية لطاعتها دون إعانة . طالما أنني أحاول تقديس ذاتي بإمكانياتي الشخصية ، فبالتأكيد سوف « أَرَى نَامُوسًا آخَرَ فِي أَعْضَائِي يُحَارِبُ نَامُوسَ ذِهْنِي ، وَيَسْبِينِي إِلَى نَامُوسِ الْخَطِيَّةِ » ، وسأجد دوماً سبباً للقول: « وَيْحِي أَنَا الإِنْسَانُ الشَّقِيُّ! مَنْ يُنْقِذُنِي مِنْ جَسَدِ هذَا الْمَوْتِ؟ »

٢- يمكن للمؤمن أن يتقدس بواسطة مواعيد حق الله . « فَإِذْ لَنَا هذِهِ الْمَوَاعِيدُ أَيُّهَا الأَحِبَّاءُ لِنُطَهِّرْ ذَوَاتِنَا مِنْ كُلِّ دَنَسِ الْجَسَدِ وَالرُّوحِ ، مُكَمِّلِينَ الْقَدَاسَةَ فِي خَوْفِ اللهِ » (٢كورنثوس ٧: ١) . « كَمَا أَنَّ قُدْرَتَهُ الإِلهِيَّةَ قَدْ وَهَبَتْ لَنَا كُلَّ مَا هُوَ لِلْحَيَاةِ وَالتَّقْوَى ، بِمَعْرِفَةِ الَّذِي دَعَانَا بِالْمَجْدِ وَالْفَضِيلَةِ ، اللَّذَيْنِ بِهِمَا قَدْ وَهَبَ لَنَا الْمَوَاعِيدَ الْعُظْمَى وَالثَّمِينَةَ ، لِكَيْ تَصِيرُوا بِهَا شُرَكَاءَ الطَّبِيعَةِ الإِلهِيَّةِ ، هَارِبِينَ مِنَ الْفَسَادِ الَّذِي فِي الْعَالَمِ بِالشَّهْوَةِ » (٢بطرس ١: ٣-٤) .

لن تسودكم

فليكن مفهوماً تماماً أنه لا يتقدس أي إنسان أبداً بالاعتماد على مجهوداته الشخصية لإطاعة الناموس . فمثل ذلك الإنسان يبطل نعمة الله ، ومن المؤكد أيضاً أن الإنسان يبطل تلك النعمة بعدم عيشه حياته الحاضرة في الجسد بإيمان ابن الله . لذلك علينا تطهير ذواتنا من كل دنس الجسد والروح بمواعيد الله . فهي تحتوي على الحقائق التي يمكن أن نتقدس بها بحسب صلاة مخلّصنا .

يثور هنا تساؤلان: ١- ما هي مواعيد الله؟ ٢- وكيف نحصل على تحقيق هذه المواعيد؟

أذكر أنه مكتوب في (غلاطية ٣:١٦): « وَأَمَّا الْمَوَاعِيدُ فَقِيلَتْ فِي إِبْرَاهِيمَ وَفِي نَسْلِهِ » ، ومكتوب في عدد ٢٩ : « فَإِنْ كُنْتُمْ لِلْمَسِيحِ ، فَأَنْتُمْ إِذًا نَسْلُ إِبْرَاهِيمَ ، وَحَسَبَ الْمَوْعِدِ وَرَثَةٌ » . حين أجد وعداً في الكتاب المقدس يتطابق مع الاحتياجات الضرورية لحالتي ، باعتباري واحداً من نسل إبراهيم ، إن كنت مِلك للمسيح ، فأنا واحد مِمَّن قيل فيهم الوعد ، وبالتالي أنا وارث لكل الخير الذي تعهّد الله بذلك الوعد أن يمنحه .

بهذا اليقين أنظر إلى الوعد وأتساءل بشوق جِدّي: ما الذي وعد إلهي الذي فداني بإعطائه لي؟ فأطوف ببصري في الكتاب المقدس بكامله ، لأنه في إبراهيم ونسله قيلت المواعيد ، وأنا واحد منهم ، لأني أؤمن بالمسيح .

جاء في (تثنية ٣٠:٦): « وَيَخْتِنُ الرَّبُّ إِلهُكَ قَلْبَكَ وَقَلْبَ نَسْلِكَ ، لِكَيْ تُحِبَّ الرَّبَّ إِلهَكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ لِتَحْيَا » . من الواضح والجليّ أن مَن أحب الله بهذه الكيفية ما كان ليخطئ . أما السبب في عدم تحقق هذا الوعد وغيره من الوعود العظمى والثمينة لجميع شعب الله المعترفين به في كل عصر ، فسيتضح حينما أبدأ في إظهار كيفية الحصول على تحقيق المواعيد .

(حزقيال ٣٦: ٢٥-٢٧ ، ٢٩): « وَأَرُشُّ عَلَيْكُمْ مَاءً طَاهِرًا فَتُطَهَّرُونَ . مِنْ كُلِّ نَجَاسَتِكُمْ وَمِنْ كُلِّ أَصْنَامِكُمْ أُطَهِّرُكُمْ . وَأُعْطِيكُمْ قَلْبًا جَدِيدًا ، وَأَجْعَلُ رُوحًا جَدِيدَةً فِي دَاخِلِكُمْ ، وَأَنْزِعُ قَلْبَ الْحَجَرِ مِنْ لَحْمِكُمْ وَأُعْطِيكُمْ قَلْبَ لَحْمٍ . وَأَجْعَلُ رُوحِي فِي دَاخِلِكُمْ ، وَأَجْعَلُكُمْ تَسْلُكُونَ فِي فَرَائِضِي ، وَتَحْفَظُونَ أَحْكَامِي

وَتَعْمَلُونَ بِهَا ... وَأُخَلِّصُكُمْ مِنْ كُلِّ نَجَاسَاتِكُمْ » . فإذا قيل إن هذه الوعود قيلت لليهود ، فسيكون ردي: « وَأَمَّا الْمَوَاعِيدُ فَقِيلَتْ فِي إِبْرَاهِيمَ وَفِي نَسْلِهِ » ، وأنا أطالب بكوني واحداً من هؤلاء . فما من أحدٍ منهم له احتياج أمس مني ليتطهر من كل دنسه ، من كل أصنامه ، ويخلص من كل نجاساته . لذلك أنا أحسب نفسي وارثاً للخير الموعود هنا .

(إرميا ٣٢: ٣٨-٤٠): « وَيَكُونُونَ لِي شَعْبًا وَأَنَا أَكُونُ لَهُمْ إِلهًا . وَأُعْطِيهِمْ قَلْبًا وَاحِدًا وَطَرِيقًا وَاحِدًا لِيَخَافُونِي كُلَّ الأَيَّامِ ، لِخَيْرِهِمْ وَخَيْرِ أَوْلاَدِهِمْ بَعْدَهُمْ . وَأَقْطَعُ لَهُمْ عَهْدًا أَبَدِيًّا أَنِّي لاَ أَرْجِعُ عَنْهُمْ لأُحْسِنَ إِلَيْهِمْ ، وَأَجْعَلُ مَخَافَتِي فِي قُلُوبِهِمْ فَلاَ يَحِيدُونَ عَنِّي » . فهل يُقال هنا كذلك إن هذه الوعود قيلت لليهود فقط؟ إني أنكر كل الإنكار أن سلالة إبراهيم الجسدية لها أي حق أو دعوى أو ميراث في هذه المواعيد العظمى والثمينة لا يخصني أنا كتلميذ للمسيح بالتساوي . فهل يقال إن هذه المواعيد متصلة بعودة اليهود الحرفية لأرضهم؟ أجيب بأن الله قال: « لاَ يَمْنَعُ خَيْرًا عَنِ السَّالِكِينَ بِالْكَمَالِ » (مزمور ٨٤: ١١) ، وأن « الَّذِي لَمْ يُشْفِقْ عَلَى ابْنِهِ ، بَلْ بَذَلَهُ لأَجْلِنَا أَجْمَعِينَ ، كَيْفَ

لاَ يَـهَبُنَا أَيْضًـا مَعَـهُ كُـلَّ شَـيْءٍ؟ » (روميـة ٨: ٣٢) . فحيـث أنـه لا يحتـاج أي خـاطئ هـالك الخـير الموعـود هنـا أكـثر مـني ، أطـالب بتواضع مـن خـلال المسيح بحقي في كـل الخـير الـذي يبـدو للعيـان هنا ، وأحسـبه ميراثـاً لـي .

يعـود الوحـي فيقـول في (إرميـا ٣١: ٣١-٣٣): « هَـا أَيَّـامٌ تَـأْتِي ، يَقُـولُ الـرَّبُّ ، وَأَقْطَـعُ مَـعَ بَيْـتِ إِسْـرَائِيلَ وَمَـعَ بَيْـتِ يَـهُوذَا عَـهْدًا جَدِيـدًا . لَيْـسَ كَالْعَـهْدِ الَّـذِي قَطَعْتُـهُ مَـعَ آبَائِـهِمْ يَـوْمَ أَمْسَكْتُهُمْ بِيَدِهِمْ لأُخْرِجَـهُمْ مِـنْ أَرْضِ مِصْـرَ ، حِـينَ نَقَضُـوا عَـهْدِي فَرَفَضْتُهُمْ ، يَقُولُ الرَّبُّ . بَـلْ هـذَا هُـوَ الْعَـهْدُ الَّـذِي أَقْطَعُـهُ مَـعَ بَيْـتِ إِسْـرَائِيلَ بَعْـدَ تِلْـكَ الأَيَّـامِ ، يَقُـولُ الـرَّبُّ: أَجْعَـلُ شَـرِيعَتِي فِـي دَاخِلِـهِمْ وَأَكْتُبُـهَا عَلَـى قُلُوبِـهِمْ ، وَأَكُـونُ لَـهُمْ إِلهًـا وَهُـمْ يَكُونُـونَ لِـي شَـعْبًا » . هـذا هـو نفـس التعـهد بجعلنـا نحـب الله مـن كـل القلـب والنفـس والعقـل والقـدرة ، ولا يمكـن أن أُحـرَم لا مـن هـذا التعـهد ولا من منـافع العـهد الجديـد . ففـي هـذا العـهد الجديـد أجـد المسيح وسـيطاً ، كمـا يخبرنـا الرسـول بولـس في رسـالته إلى العـبرانيين ، بحيـث أن تتميـم هـذا العـهد الجديـد كـان عـين الغـرض الـذي جـاء المسيح مـن أجـل تحقيقـه . لدرجـة أن المسيح قـال عـن دمـه: « هـذَا

هُوَ دَمِي الَّذِي لِلْعَهْدِ الْجَدِيدِ » (مرقس ١٤: ٢٤) ، وقال بولس عن نفسه وعن رفقائه الرسل إن الله « جَعَلَنَا كُفَاةً لأَنْ نَكُونَ خُدَّامَ عَهْدٍ جَدِيدٍ . لاَ الْحَرْفِ بَلِ الرُّوحِ . لأَنَّ الْحَرْفَ يَقْتُلُ وَلكِنَّ الرُّوحَ يُحْيِي » (٢كورنثوس ٣: ٦) . إذاً فهذا العهد الجديد الذي يضع ناموس الله في قلوب شعبه ، وبذلك ينزع خطاياهم ، يجب اعتباره موضوع الوعظ الأمجد والأعظم لَمن يعظون باسم المسيح . كان المسيح ينظر إلى تتميم هذا العهد عندما قال: « طُوبَى لِلْجِيَاعِ وَالْعِطَاشِ إِلَى الْبِرِّ ، لأَنَّهُمْ يُشْبَعُونَ » (متى ٥: ٦) . « مَنْ يُقْبِلْ إِلَيَّ فَلاَ يَجُوعُ ، وَمَنْ يُؤْمِنْ بِي فَلاَ يَعْطَشُ أَبَدًا ... كَمَا أَرْسَلَنِي الآبُ الْحَيُّ ، وَأَنَا حَيٌّ بِالآبِ ، فَمَنْ يَأْكُلْنِي فَهُوَ يَحْيَا بِي » (يوحنا ٦: ٣٥، ٣٧) . « اِسْأَلُوا تُعْطَوْا . اُطْلُبُوا تَجِدُوا . اِقْرَعُوا يُفْتَحْ لَكُمْ . لأَنَّ كُلَّ مَنْ يَسْأَلُ يَأْخُذُ ، وَمَنْ يَطْلُبُ يَجِدُ ، وَمَنْ يَقْرَعُ يُفْتَحُ لَهُ » (متى ٧: ٧، ٨) . « فَمَنْ مِنْكُمْ ، وَهُوَ أَبٌ ، يَسْأَلُهُ ابْنُهُ خُبْزًا ، أَفَيُعْطِيهِ حَجَرًا؟ أَوْ سَمَكَةً ، أَفَيُعْطِيهِ حَيَّةً بَدَلَ السَّمَكَةِ؟ أَوْ إِذَا سَأَلَهُ بَيْضَةً ، أَفَيُعْطِيهِ عَقْرَبًا؟ فَإِنْ كُنْتُمْ وَأَنْتُمْ أَشْرَارٌ تَعْرِفُونَ أَنْ تُعْطُوا أَوْلاَدَكُمْ عَطَايَا جَيِّدَةً ، فَكَمْ بِالْحَرِيِّ الآبُ الَّذِي مِنَ السَّمَاءِ ، يُعْطِي الرُّوحَ الْقُدُسَ لِلَّذِينَ

يَسْأَلُونَهُ؟ » (لوقا ١١: ١١-١٣) . أما الدليل على كون هذه المواعيد مرتبطة ببركات العهد الجديد فهو أنك لا تحتاج إلى خيرٍ ما أكثر من احتياجك لوضع الله ناموسه في قلبك فتحبه « مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ » (متى ٢٢: ٣٧؛ تثنية ١٠: ١٢) . وحيث أنه صنع هذا العهد وأرسل المسيح وسيطاً له ، وبذلك أكّد لنا استعداده الشديد لمنحنا كل خير ، فأرى أن الطريق مفتوح على مصراعيه أمام المؤمنين بالمسيح ليتطهروا « مِنْ كُلِّ إِثْمٍ » . إن تتميم هذا العهد الجديد هو الأمر الذي أمرنا مخلّصنا بالصلاة لأجله قائلين: « لِيَأْتِ مَلَكُوتُكَ . لِتَكُنْ مَشِيئَتُكَ كَمَا فِي السَّمَاءِ » . لأنه عندما يوضع ناموس الله في قلوب شعبه ، الذي أنت منهم ، فتحبه بحق « مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ » ، حينئذٍ يكون الملكوت قد أتى في داخلك ، وحينئذٍ تتم مشيئته « كَمَا فِي السَّمَاءِ كَذلِكَ عَلَى الأَرْضِ » . ونستطيع أيضاً تطبيق مواعيد عظيمة وثمينة أخرى قالها مخلّصنا على بركات هذا العهد الجديد . « وَكُلُّ مَا تَطْلُبُونَهُ فِي الصَّلاَةِ مُؤْمِنِينَ تَنَالُونَهُ » (متى ٢١: ٢٢) . « إِلَى الآنَ لَمْ تَطْلُبُوا شَيْئًا بِاسْمِي . اُطْلُبُوا تَأْخُذُوا ، لِيَكُونَ فَرَحُكُمْ كَامِلاً » (يوحنا ١٦: ٢٤) . حينما تجد

أنت نفسك كمسيحي أن خطاياك نُزعت والعهد الجديد تحقق فيك ، فتحب الله « مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ ، وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ » (متى ٢٢ : ٣٧) ، حينئذٍ « يَكُونَ فَرَحُكُمْ كَامِلاً » ، ولن يكون كاملاً حتى ذاك الحين . وبالتالي فإن يوحنا يقول في رسالته : « وَنَكْتُبُ إِلَيْكُمْ هذَا لِكَيْ يَكُونَ فَرَحُكُمْ كَامِلاً » (١يوحنا ١ : ٤) . ثم ماذا يكتب بعد ذلك ليمنح المؤمنين فرحاً كاملاً؟ آه ، كتب أن « دَمُ يَسُوعَ الْمَسِيحِ ابْنِهِ يُطَهِّرُنَا مِنْ كُلِّ خَطِيَّةٍ ... إِن اعْتَرَفْنَا بِخَطَايَانَا فَهُوَ أَمِينٌ وَعَادِلٌ ، حَتَّى يَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَيُطَهِّرَنَا مِنْ كُلِّ إِثْمٍ ... أَنَّ ذَاكَ أُظْهِرَ لِكَيْ يَرْفَعَ خَطَايَانَا ... كُلُّ مَنْ يَثْبُتُ فِيهِ لاَ يُخْطِئُ » . هذه هي الأشياء عينها التي تمنح المؤمن المسيحي فرحاً كاملاً ، وأي شيء أقل لا يقدر أن يفعل ذلك .

سأستشهد بفقرة واحدة فقط وأكون قد انتهيت من هذه النقطة . وهي الفقرة التي يقول بصددها الرسول بولس لأهل كورنثوس : « فَإِذْ لَنَا هذِهِ الْمَوَاعِيدُ أَيُّهَا الأَحِبَّاءُ لِنُطَهِّرْ ذَوَاتِنَا مِنْ كُلِّ دَنَسِ الْجَسَدِ وَالرُّوحِ ، مُكَمِّلِينَ الْقَدَاسَةَ فِي خَوْفِ اللهِ » (٢كورنثوس ٧ : ١) . والفقرة هي : « فَإِنَّكُمْ أَنْتُمْ هَيْكَلُ اللهِ الْحَيِّ ، كَمَا قَالَ اللهُ : « إِنِّي سَأَسْكُنُ فِيهِمْ وَأَسِيرُ بَيْنَهُمْ ، وَأَكُونُ

لَـهُمْ إِلهًـا ، وَهُـمْ يَكُونُـونَ لِـي شَـعْبًا . لِذلِـكَ اخْرُجُـوا مِـنْ وَسْـطِهِمْ وَاعْـتَزِلُوا ، يَقُـولُ الـرَّبُّ . وَلاَ تَمَسُّـوا نَجِسًـا فَـأَقْبَلَكُمْ ، وَأَكُـونَ لَكُـمْ أَبًـا ، وَأَنْتُـمْ تَكُونُـونَ لِـي بَنِـينَ وَبَنَـاتٍ ، يَقُـولُ الـرَّبُّ ، الْقَـادِرُ عَلَـى كُـلِّ شَـيْءٍ » » (٢كورنثـوس ٦ : ١٦-١٨) .

يقصـد الرسـول هنـا – في رأيـي – أنـه في المواعيـد : « إِنِّـي سَأَسْكُنُ فِيـهِمْ وَأَسِيرُ بَيْنَـهُمْ ، وَأَكُـونُ لَـهُمْ إِلهًـا ، وَهُـمْ يَكُونُـونَ لِـي شَـعْبًا » ، يوجـد وعـد بالتطـهير مـن كـل دنـس جسـدي وروحـي ، وتكميـل القداسـة في خـوف الله . فـإذا وجدنـا الوسـيلة لنضمـن لأنفسنا تحقيـق هـذه المواعيـد العظمـى والثمينـة ، فيبـدو لـي أننـا سوف نرقـى إلى أسمـى خـير ممكـن . ولذلـك أطـرح هـذا السـؤال :

٢- كيـف لنـا أن نحصـل علـى تحقيـق مواعيـد الله؟

أقـول بصـدد هـذه النقطـة إنـه توجـد فقـرة كـانت لـي بمثابـة المفتـاح الـذي فتـح كنـوز كلمـة الله الثمينـة ، والـذي داوم لعـدة أعـوام علـى فتـح المزيـد والمزيـد مـن « غِنَـى مَجْـدِ مِيرَاثِـهِ فِـي الْقِدِّيسِـينَ » (أفسـس ١ : ١٨) ، وصنـع الكثـير لأبلـغ المكـان الـذي أنـا فيـه « بِنِعْمَـةِ اللهِ » اليـوم . توجـد هـذه الفقـرة في (٢كورنثـوس ١ : ٢٠) :

« لأَنْ مَهْمَا كَانَتْ مَوَاعِيدُ اللهِ فَهُوَ فِيهِ [المسيح] « النَّعَمْ » وَفِيهِ « الآمِينُ » ، لِمَجْدِ اللهِ ، بِوَاسِطَتِنَا » . وأنا أفهم من هذا أنه مع أن المواعيد لا تتحقق لنا إلاّ من أجل خاطر المسيح ، إلاّ أنه يمكننا الحصول على تحقيق كل وعد إذ نثق في المسيح أن يحققه ، وأنه إذا وثقنا في المسيح وحصلنا من أجل خاطره على تحقيق مواعيد الله ، يتمجد الله بواسطتنا . فهاكم هذا الوعد مثلاً: « أَنَا أَنَا هُوَ الْمَاحِي ذُنُوبَكَ لأَجْلِ نَفْسِي ، وَخَطَايَاكَ لاَ أَذْكُرُهَا » (إشعياء ٤٣: ٢٥) . لمن يتحقق هذا الوعد؟ لمن يثق في المسيح أن يحققه له من أجل خاطر المسيح ، ولذلك الشخص فقط . مثل هذا الإنسان هو الذي ينال الصفح ، وليس غيره .

إليكم الآن بهذا الوعد: « وَأَرُشُّ عَلَيْكُمْ مَاءً طَاهِرًا فَتُطَهَّرُونَ . مِنْ كُلِّ نَجَاسَتِكُمْ وَمِنْ كُلِّ أَصْنَامِكُمْ أُطَهِّرُكُمْ ... وَأُخَلِّصُكُمْ مِنْ كُلِّ نَجَاسَاتِكُمْ » « وَإِلهُ السَّلاَمِ نَفْسُهُ يُقَدِّسُكُمْ بِالتَّمَامِ . وَلْتُحْفَظْ رُوحُكُمْ وَنَفْسُكُمْ وَجَسَدُكُمْ كَامِلَةً بِلاَ لَوْمٍ عِنْدَ مَجِيءِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ » (١تسالونيكي ٥: ٢٣) . لمن تتحقق هذه المواعيد؟ مثلها مثل المواعيد التي تتعهد بغفران الخطية ، هي جميعاً نعم وآمين في المسيح لمجد الله بواسطتنا . من ثَمّ ، حينما نأتي إلى

المسيح ، ونثق فيه أن يحقق لنا هذه المواعيد من أجل خاطره ، يمجد الله ذاته برشّ ماء طاهر علينا؛ وبتطهيرنا من كل نجاساتنا وأصنامنا؛ وبتقديسه إيانا بالتمام وحفظه أرواحنا وأنفسنا وأجسادنا بلا لوم عند مجيء ربنا يسوع المسيح . فمن خلال مواعيد الله إذاً نطهر أنفسنا من كل نجاسات الروح والجسد ، ونكمل القداسة في خوف الله عندما نؤمن في الرب يسوع المسيح أن هذه المواعيد ستتحقق لنا من أجل خاطره . من هذا يبدو لي أنه يوجد في هذه الأيام الأخيرة ارتداد كبير عن الإيمان – وحين تتعلم كنيسة المسيح أن تتطهر من كل نجاسة الجسد والروح ، وتكمل القداسة في خوف الله بالثقة في المسيح أن يتمم هذه المواعيد العظمى والثمينة ، التي تتعهد بخلاصها من كل النجاسات ، سوف تكتسي أثوابها الجميلة وتقوم وتستنير ، فإن نورها سيكون جاء وأشرق عليها مجد الرب (راجع إشعياء ٥٢: ١؛ ٦٠: ١) .

والآن يا أخي العزيز ، سأنظر في سؤالك مباشرةً . لقد حصلت مني على رد وافٍ عن إذا كان ممكناً أن يكون البشر مقدسين في هذه الحياة . مع أني أومن بوجود قدر قليل من

القداسة في العالم ، إلاّ إنني أومن بوجود إمداد وفير صنعه الله بنعمته يقدر المؤمنون به أن « تَتْبُتُوا كَامِلِينَ وَمُمْتَلِئِينَ فِي كُلِّ مَشِيئَةِ اللهِ » ، وأومن أنه في أيام بولس وبطرس ويوحنا كانت هذه النعمة متاحة تماماً بواسطة الإيمان بالمسيح بأن يحقق مواعيد الله – والأمر لا يقل الآن عن هذا بالنسبة لمن يرغبون الانتفاع بها بنفس الطريقة .

أما عن الشهداء ، فأنا لا أومن بأن أحداً استُشهِد من أجل المسيح دون أن يتطهر أولاً من الخطية ، لأن التخلي عن العالم وما فيه ، بل وعن الحياة نفسها ، من أجل خاطر المسيح ، يثبت إثباتاً قاطعاً أن مثل هذا الإنسان أحب الله حتماً بقلب كامل غير منقسم ، ولابد أنه تحرر من الخطية . فقد يستشهد الناس من أجل أشياء أخرى غير المسيح ، كما فعل الملايين بدافع انفعالاتهم البشرية المجنونة ، لكنني أعتقد أن أحداً لا يستطيع الاستشهاد من أجل المسيح دون أن يكون قلبه قد تطهر وامتلأ بمحبة المسيح . لذلك أنا أومن أن كل شهيد حقيقي للإنجيل تطهر من الخطية قبل استشهاده .

أما عن الأزمنة المعاصرة ، فلم يبدُ على رجال أتقياء كثيرين أنهم استوعبوا كل غنى نعمة الله ، ونادوا بأن أحداً من المؤمنين لم يطهر ذاته « مِنْ كُلِّ دَنَسِ الْجَسَدِ وَالرُّوحِ ، مُكَمِّلِينَ الْقَدَاسَةَ فِي خَوْفِ اللهِ » . لكن إذا أمكن لإنسان أن يتطهر من الخطية بالإيمان في المسيح الذي يحقق مواعيد الله قبل الموت بلحظة ، فلِمَ لا يكون قبل الموت بيوم أو سنة أو عشرين أو خمسين سنة؟

سألتَ عن آرائي بخصوص أخلاق مَن اعتنقوا تعليم القداسة الكاملة في هذه الحياة . فأقول للرد: أنا لا أشك في كون بعض المعترفين بهذه العقيدة فاسقين – وهكذا أيضاً بعض المعترفين بعقيدة الولادة الجديدة ، لكني لا أرى في أيٍّ من الحالتين أن فسقهم مرجعه العقيدة التي يعتنقونها . فأنا لا أومن أن الإنسان يمكنه أن يصير فاسقاً كنتيجة مباشرة للثقة في المسيح أن يحفظه بنعمة الله من كل خطية ، وإلاّ كان الإنسان أيضاً يغور إلى أعماق الجحيم كنتيجة للثقة في المسيح أن ينقذه من الجحيم . أنا أرى أنه في أيٍّ من الحالتين قد ينتج الشر من عدم الإيمان في المسيح ، لا من ممارسة ذلك الإيمان .

أما بخصوص السلامة العظمى لَمن يخافون دوماً ، فأرد بالقول: إن من يثق في المسيح أن يحفظه من الخطية هو وحده الإنسان الذي يخاف دوماً . وهو لا يخاف فقط ، بل ويعلم أنه لن يقدر في أي حال من الأحوال أن يحفظ نفسه ، ومن ثم يهرب دائماً إلى المسيح ، في حين أن مَن لا يخاف دوماً لا يثق في المسيح ، فيسقط في الخطيئة . لذلك فأنا أومن بالكامل أن من يخاف دوماً هو الأسلم، شريطة أن تكون مخاوفه عظيمة بما يكفي لدفعه إلى الرب الذي فيه وحده له البر والقوة. هذا الخوف ليس له عذاب .. إن هو إلاّ اتكال جميل على المسيح .

فأنا لا أظن أن حماقات أي إنسان أو شذوذه عن القاعدة أو عدم ثباته على مبادئه أو ارتكابه الجرائم يُرد مرجعه إلى العقيدة التي أنادي بها بأي معنى من المعاني . كلما ازدادت قيمة العملة ، اشتدت رغبة تزييفها عند الرجل الشرير . ولا شك عندي أن تلك العقيدة المباركة – حفظنا بالإيمان في المسيح من كل خطية – سيتم تزييفها على يد رجال أشرار لأجل أغراض فاجرة . ولكن هل هذا سبب كافٍ لنبذ العُملة الأصلية – أثمن عملة هبطت للإنسان الساقط من دار سك العملة السماوية؟

لا يا أخي . فإن كلمة الله تؤكّد لي أن فاديَّ دُعِي: « يَسُوعَ . لأَنَّهُ يُخَلِّصُ شَعْبَهُ مِنْ خَطَايَاهُمْ » « أَنَّ ذَاكَ أُظْهِرَ لِكَيْ يَرْفَعَ خَطَايَانَا ... كُلُّ مَنْ يَثْبُتُ فِيهِ لاَ يُخْطِئُ » ، فعليَّ أن أتعلّق بذلك المخلص بقبضة حديدية ، فأنا لا أرى لحظة واحدة من الأمان إلاّ في ظل جناحيه . أَقُولُ لِلرَّبِّ: « مَلْجَإِي وَحِصْنِي . إِلهِي فَأَتَّكِلُ عَلَيْهِ » . لأَنَّهُ يُنَجِّيكَ مِنْ فَخِّ الصَّيَّادِ وَمِنَ الْوَبَإِ الْخَطِرِ . بِخَوَافِيهِ يُظَلِّلُكَ ، وَتَحْتَ أَجْنِحَتِهِ تَحْتَمِي . تُرْسٌ وَمِجَنٌّ حَقُّهُ » (مزمور ٩١: ٢-٤) .

أما الآن يا أخي ، فأنا أومن أنه يوجد أشخاص يعتنقون هذا الخلاص العظيم حتى أن طباعهم تشكّلت به . من يقدر أن يقول: « فَمَا أَحْيَاهُ الآنَ فِي الْجَسَدِ ، فَإِنَّمَا أَحْيَاهُ فِي الإِيمَانِ ، إِيمَانِ ابْنِ اللهِ ، الَّذِي أَحَبَّنِي وَأَسْلَمَ نَفْسَهُ لأَجْلِي »؟ أنا أومن حقاً أنهم ليسوا فقط حلماء ، بل يفوقون أي طبقة أخرى من البشر في الحلم والوداعة . إنما يجدر بي هنا أن أقول إن القداسة – في رأيي – لا تكون قداسة إذا عجزت عن تحقيق ذلك الوعد: « وَيَخْتِنُ الرَّبُّ إِلهُكَ قَلْبَكَ وَقَلْبَ نَسْلِكَ ، لِكَيْ تُحِبَّ الرَّبَّ إِلهَكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ » . إن أبناء الله – في اعتقادي –

ليسوا « قُبُورًا مُبَيَّضَةً » (متى ٢٣: ٢٧) . فالقداسة ما هي إلاّ أن « يَتِمَّ حُكْمُ [بر] النَّامُوسِ فِينَا » (رومية ٨: ٤) . لا شركة لي مع أي وجهة نظر عن القداسة لا تقول بأنها عبارة عن محبة الله ومحبة الغير كمحبتنا لذواتنا . فإذا عبّر لي إنسان عن اعتقاده بأنه من خلال تأثيرات الروح القدس على قلبه التي قبلها بالإيمان في المسيح من أجل تحقيق مواعيد الله ، صار قادراً أن « تُحِبَّ الرَّبَّ إِلهَكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ » بقدر ما أعلم أن الله وعد بأن يختن قلبه ليحب الرب إلهه من كل قلبه ومن كل نفسه . ولا أكون على حق إذا شككت في أن مواعيد الله تحققت فيه ، ما لم أره يبتعد في حياته عن طريق الرب ، كما هو مُعلَن في كلمته المقدسة: « إِلَى الشَّرِيعَةِ وَإِلَى الشَّهَادَةِ . إِنْ لَمْ يَقُولُوا مِثْلَ هذَا الْقَوْلِ فَلَيْسَ لَهُمْ فَجْرٌ! » (إشعياء ٨: ٢٠) .

غير أني أعلم تماماً بوجود مَن يدعون أنهم كاملين « فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ » (كولوسي ١: ٢٨) ، الذين يقعون في أخطاء جسيمة في هذه النقطة عينها ، وبذلك « يُفْتَرَ عَلَى صَلاَحِكُمْ » بأسلوب محزن جداً (رومية ١٤: ١٦) . فإذ يضعون جانباً كلمة الله الواضحة باعتبارها القاعدة الوحيدة للتحكم في إيمانهم ،

ويجربون مشاعرهم ويكوّنون آراءهم ويشكّلون كل تصرفاتهم ويعتنقون الاعتقاد بأن الروح القدس يسكن فيهم إلى الدرجة التي لا تضطرهم إلى اللجوء إلى الكتاب المقدس مرشداً ، يضعون أول خطوة على طريق التطرف الواسع . يصيرون ما كان يمكن للمسيح أن يصيره إن هو ألقى بنفسه من قمة الهيكل – تماشياً مع اقتراح إبليس: يصيرون مجربين لله . فبينما وعدني في كلمته بكل ما هو ضروري لتسديد لوازم وجودي ، حتى وإن كان ذلك التحقيق الكامل لخيري الأسمى على الأرض وفي السماء معاً ، لا أظنه أعطاني الرخصة لتعدي قوانينه الطبيعية أو الأدبية على أمل أنه سيسدد عني احتياجاً خلقته أنا بوقاحتي . فإذا قفزت مثلاً من مكان عالٍ على أمل أن ينقذني الله من الموت بإبطاله قانون الجاذبية أو بمنحي أجنحة ، أو إذا امتنعت عن الطعام طوعاً على أمل أن يحفظ الله حياتي دون أكل ، أو إذا أقدمت على الإبحار في سفينة تتسرب إليها المياه وكلي ثقة أن الله سينقذني من الموت غرقاً ، أكون مجرباً لله بمخالفتي قانون الطبيعة عن عمد . ولا حق لي أن أتوقع أي ضمان معجزي مُسبَّقاً ، كما صنع الله مع موسى ، بأن يكون معي بطريقة

معجزية . وكذلك لا يجب عليّ تعدي الشرائع الأدبية بأن أطرح نفسي في طريق التجربة دون داعٍ ، ظاناً أن الله سيحفظني من الهزيمة ، أو أقوم بتصرف تحظره كلمة الله بوضوح ، افتراضاً مني أن الروح القدس أرشدني إلى ذلك ، ومن ثم لا يكون خطية . أنا أعرف أناساً غامروا فارتادوا تلك المنطقة ، فجلبوا لوماً شديداً على المسيح وقضيته . لا ينبغي أن « تُصَدِّقُوا كُلَّ رُوحٍ ، بَلِ امْتَحِنُوا الأَرْوَاحَ: هَلْ هِيَ مِنَ اللهِ؟ » (١يوحنا ٤: ١) . ولكن بأي وسيلة أمتحن كل روح؟ واضح أن الوسيلة هي الكلمة الموحى بها ، ولا وسيلة عداها . فلو شعرت بنزوة لارتكاب عمل ما منافٍ بوضوح لكلمة الله ، فلا حاجة بي إلى إخطاء المصدر الذي تأتي منه مثل هذه النزوة . أنا أعلم علماً معصوماً من الخطإ أن إبليس هو مُنشِئ مثل هذه النزوة وكأنني أرى رأسه التي تشبه الحية ولسانه المفروق وعينيه المتوهّجتين ، أو أسمع فحيحه الصادر من حلقومه الشيطاني . أنا أعلم بوجود مَن اعتادوا على القول: « مهما قال لي الرب أفعل » . لكني أعلم أيضاً أن الرب لن يأمرهم بفعل شيء مضاد للكتاب المقدس ، وإذا انقادوا إلى أي شيء من ذلك النوع فهم بالتأكيد تحت قيادة

الشيطان . بخلاف ذلك ، أنا لا أتوقع التأثير على تصرف إخوتي البشر ما لم أُبدِي لهم أسباباً جيدة وكافية للمنهج الذي أريدهم اتباعه . وإنما ما أتوقعه بالأحرى أنه أينما يقودني الروح القدس ، سيُريني أفضل الأسباب لاتباعه ، وعليّ أن أفحص هذه الأسباب في الكلمة التي أوحى بها .

لقد نمى الكثير من التضاربات من غلطة اتباع النزوات بدلاً من كلمة الله ، وأنا لا أشك أنه – في بعض الحالات – أدّى ذلك بمن يُدعَون كماليين إلى ارتكاب ممارسات فاسقة . فبدلاً من التشبث الشديد بكلمة الله وجعلها قاعدتهم الوحيدة للحياة ، فيكتبونها على قلوبهم ويضعوها دائماً « عَصَائِبَ بَيْنَ عَيْنَيْكَ » (تثنية ٦:٨) ، تشبعوا بفكرة سكنى الروح القدس ليكون مرشداً معصوماً من الخطإ دون الرجوع إلى مشيئة الله المُعلَنة بتاتاً . فضلاً عن ذلك ، حينما يضع الإنسان قدمه على هذا الطريق ، يجب أن يتوقع التعرض للجرح ، مثله مثل الرجل الذي نزل من أورشليم إلى أريحا فوقع بين اللصوص ، فعرّوه وتركوه بين ميت وحَيّ . إنه يزُج بنفسه بين خصوم أشداء؛ لأن كلمة الله يجب أن تكون سيفاً وترساً له . ولِمَ لا يقذف إذاً بالدفّة

والبوصلة والخارطة ومقياس زاوية الارتفاع وأداة قياس الزمن في عرض المحيط ، ويتوقع من الله أن يرشده إلى ميناءه المنشود ؟ أو يسير بين الأشراك في حلكة الظلام ويطرح مصباحه ، ظاناً أنه سيكون في أمان إذا سار بالإيمان ؟ حقاً أُعطينا الروح القدس ليقودنا إلى كل الحق ، لكن كل الحق الذي نحتاج أن نعرفه موجود في الكتاب المقدس ، وكل الإرشاد الذي نحتاجه يتعلق بالفهم الصحيح والممارسة الصحيحة لما يتضمنه الكتاب المقدس .

لكن الرب أعلن لكم بوضوح استعداده أن « أَرُشُّ عَلَيْكُمْ مَاءً طَاهِرًا فَتُطَهَّرُونَ . مِنْ كُلِّ نَجَاسَتِكُمْ وَمِنْ كُلِّ أَصْنَامِكُمْ أُطَهِّرُكُمْ » « وَأُخَلِّصُكُمْ مِنْ كُلِّ نَجَاسَاتِكُمْ » ، وأنا أسأله أن يصنع هذا لي وحينما يحلف بأن يمنحني أننا « مُنْقَذِينَ مِنْ أَيْدِي أَعْدَائِنَا ، نَعْبُدُهُ بِقَدَاسَةٍ وَبِرّ قُدَّامَهُ جَمِيعَ أَيَّامِ حَيَاتِنَا » . « وَأَقَامَ لَنَا قَرْنَ خَلاَص » . « لِيَصْنَعَ رَحْمَةً مَعَ آبَائِنَا وَيَذْكُرَ عَهْدَهُ الْمُقَدَّسَ ، الْقَسَمَ الَّذِي حَلَفَ لإِبْرَاهِيمَ أَبِينَا » . وهو قد أكّد لي أنه « مَهْمَا كَانَتْ مَوَاعِيدُ اللهِ فَهُوَ فِيهِ « النَّعَمْ » وَفِيهِ « الآمِينُ » ، لِمَجْدِ اللهِ ، بِوَاسِطَتِنَا » . فهل أنا أتبع النزوات لا الكتاب المقدس حينما أثق في المسيح ثقة كاملة بأن هذه المواعيد الإلهية وهذا

القسم الذي أقسمه الله سيتحقق لي من أجل خاطر المسيح؟

إن قلبي حزين أيها الأخ وأنا أتحدث في هذه النقطة ، بل يكِد بحثاً عن الكلمات المناسبة للتعبير عن مشاعره الفياضة . فأنا أرى نفسي وكأني واقف عند مُفتَرق طريقين . في الواحد أرى أناساً ماشين صائحين: « اِبعدوا عنا أيام السبت والطقوس الدينية وكلمة الله المكتوبة – ابعدوا عنا كل الشرائع والقوانين التي تتحكم في التصرف ، البشري منها والإلهي . لسنا في حاجة إلى ناموس أو قانون للإيمان أو الأعمال ، أو واسطة للنعمة أو تكريس وشركة شخصية مع الآب في السر ، أو مذابح عائلية أو صلاة حارة مناضلة ، أو أي مجهود مثابر لهداية العالم الضال إلى الله . نحن نسكن في المسيح وهو فينا ، لذا لا يمكن أن نخطئ ، ومهما كانت النزوة التي نشعر بها ، فإننا نعلم أنها من تأثير الروح القدس المعصوم من الخطإ ، ومن ثم نستطيع السير وراء هذا التأثير حيثما يقودنا ونكون في مأمن » . غير أني أصيح في آذان هؤلاء بأعلى صوت وأقول: « خطر ، خطر ، ثم خطر! احذروا ، احذروا ، ثم احذروا! لا تسيروا في مثل هذا الطريق! تنكّبوا عنه! حيدوا منه واعبروا! » هذه هي

الفئة المدعوّة « كماليين » . هل أستطيع السير معهم على نفس الدرب؟ لا ولو شبراً واحداً! فبدلاً من ترك وصايا الرب وأوامره ، يخبرنا الكتاب المقدس بأنْ « اخْضَعُوا لِكُلِّ تَرْتِيبٍ بَشَرِيٍّ مِنْ أَجْلِ الرَّبِّ » (٢بطرس ٢ : ١٣) ، وأنْ « لَيْسَ سُلْطَانٌ إِلاَّ مِنَ اللهِ ، وَالسَّلاَطِينُ الْكَائِنَةُ هِيَ مُرَتَّبَةٌ مِنَ اللهِ ، حَتَّى إِنَّ مَنْ يُقَاوِمُ السُّلْطَانَ يُقَاوِمُ تَرْتِيبَ اللهِ » (رومية ١٣ : ١-٢) . ليس عندي ، بل لا يمكن أن يكون عندي ، تعاطف مع أولئك الناس في هذه المواضيع . غير أني أعتقد أن بعض النفوس التي تجددت حقاً تسقط في هذه الأخطاء ، فتضل عن الصواب ضلالاً مفزعاً . وأعتقد أيضاً أن غيرهم يتبنون نفس تلك الأفكار ، مِمَّن لا يوجد في قلوبهم خوف من الله ولو للحظة . فينساقون وراءها بكل فجور وإفراط يبلغ حد الإجرام . فيصير مثل أولئك أكمل وأتم أعوان للشيطان ، أقامهم لتأدية عمله . إني لا أتصور أن المخادع الأكبر يستطيع تلفيق مجموعة من المبادئ أسوأ من هذه . بل إن تعاطفي مع أي شكل من الخيانة ابتُلِيت بها الأرض يكون أهون عليَّ من التعاطف مع هذه المبادئ .

وفي الطريق الآخر أرى حشداً من المسيحيين المؤمنين

سائرين ، خائفين من الشرود ، فلا يجرأون على تصديق الله القائل إنه سيطهركم « مِنْ كُلِّ نَجَاسَتِكُمْ وَمِنْ كُلِّ أَصْنَامِكُمْ » . وعندما يحلف لهم بأن « يُعْطِينَا إِنَّنَا بِلاَ خَوْفٍ ، مُنْقَذِينَ مِنْ أَيْدِي أَعْدَائِنَا ، نَعْبُدُهُ بِقَدَاسَةٍ وَبِرّ قُدَّامَهُ جَمِيعَ أَيَّامِ حَيَاتِنَا » (لوقا ١ : ٧٤-٧٥) . فهل أقدر أن أتعاطف مع عدم إيمان مثل هؤلاء؟ لا بل أومن أن لهم – ولي – امتياز أنّ « كُلُّ مَنْ يَثْبُتُ فِيهِ لاَ يُخْطِئُ » ، « وَيَكُونُ صُنْعُ الْعَدْلِ سَلاَمًا ، وَعَمَلُ الْعَدْلِ سُكُونًا وَطُمَأْنِينَةً إِلَى الأَبَدِ . وَيَسْكُنُ شَعْبِي فِي مَسْكَنِ السَّلاَمِ ، وَفِي مَسَاكِنَ مُطْمَئِنَّةٍ وَفِي مَحَلاَّتٍ أَمِينَةٍ » (إشعياء ٣٢ : ١٧-١٨) . أشتاق إلى تعريف شعب الله بامتيازات الثبات في المسيح ، فيستمتعون بها ، لأني أومن بالكامل أن هذا سيعزز كرامة الله وخيرهم الشخصي إلى أقصى درجة . إني أقول بأن هذه الرؤية للتقديس لا دخل لها بالعنصر الجوهري الذي يكوّن ما يعرف بالكمالية . فإني أندّد بالكماليين وبمبادئهم تماماً ، وأصرّح على رؤوس الأشهاد أنه ليس لأحد الحق في أن يُحمّلني وِزرهم .

لكن عندما أنظر إلى أتباع مخلّصي المعترفين به ، وأرى قلة معرفتهم الظاهرية ، وقلة استمتاعهم بهذا الخلاص الإلهي ،

أشعر برغبة في الصلاة قائلاً: « أَرشِد كل روح متعبة شاردة إلى سلامك الكامل[١] » .

وحينما أشاهد الكثيرين مِمَّن يحملون اسم المسيح هائمين بين الشكوك والمخاوف ، يلتمسون طريقهم في رابعة النهار وكأنهم في ظلام دامس ، ساقطين أمام أعداء روحيين لا قدرة لهم على قهرهم ، باكين على خطايا عمدية متكررة لا يعلمون السبيل إلى التغلب عليها ، أشتاق أن أقول: « أيها الحراس! توقفوا عن الشرود ، وعجّل إلى وطنك الهادئ أيها المسافر! هوذا رئيس السلام – هوذا! قد أتى ابن الله![٢] » .

لا تواصلوا البحث مثل إسرائيل المشتتة غير المؤمنة عن مخلّص سيأتي؛ وإنما قولوا مع زكريا المؤمن: « مُبَارَكٌ الرَّبُّ إِلهُ إِسْرَائِيلَ لأَنَّهُ افْتَقَدَ وَصَنَعَ فِدَاءً لِشَعْبِهِ ، وَأَقَامَ لَنَا قَرْنَ خَلاَصٍ ... لِيَصْنَعَ رَحْمَةً مَعَ آبَائِنَا وَيَذْكُرَ عَهْدَهُ الْمُقَدَّسَ ، الْقَسَمَ ... أَنْ

---

[١] ترنيمة .

[٢] ترنيمة .

يُعْطِيَنَا إِنَّنَا بِلاَ خَوْفٍ ، مُنْقَذِينَ مِنْ أَيْدِي أَعْدَائِنَا ، نَعْبُدُهُ بِقَدَاسَةٍ وَبِرّ قُدَّامَهُ جَمِيعَ أَيَّامِ حَيَاتِنَا » (لوقا ١ :٦٨-٧٥) .

سألتني في الختام عن نفسي . وهنا ، يا أخي العزيز ، أتحدث بحياء غير مصطنع . أنا أحب التطلع إلى مخلّصي وإبرازه في كماله إلى أخي الإنسان المحتاج الهالك . لكني في ذاتي ، بمعزل عمّا صنعته وستصنعه نعمة الله من أجلي ، لا أجد سوى السمات القاتمة المميزة لبعلزبوب ، رئيس الشياطين . أَصدُقك القول يا أخي: إني أعلم أنه إذا سحب الله نعمته مني وتركني وشأني ، لارتكبت كل خطية تلوح لي ومارستها إلى الأبد .

والآن، بعد أن أخبرتك برأيي في نفسي لخِزيي ، اسمح لي أن أخبرك عن نعمة الله لمدحه . لقد وعد الله « إِنِّي سَأَسْكُنُ فِيهِمْ وَأَسِيرُ بَيْنَهُمْ ، وَأَكُونُ لَهُمْ إِلهًا » ، وهو ما أعتبره تعهداً بكل خير يستطيع أن يمنحه لي . « فَإِذْ لَنَا هذِهِ الْمَوَاعِيدُ » أتوقع بالثقة في المسيح أنها ستتحقق لي من أجل خاطره ، فأتطهر « مِنْ كُلِّ دَنَسِ الْجَسَدِ وَالرُّوحِ، مُكَمِّلِينَ الْقَدَاسَةَ فِي خَوْفِ اللهِ ».

قد أقسم إلهي أنه سيمنحني أن أعبده بدون خوف في القداسة والبر أمامه ، وأنا منقذ من يد أعدائي ، جميع أيام حياتي ، وهو أقام يسوع المسيح ليكون قرن خلاصي ، ليصنع لي هذه الرحمة الموعودة إلى آبائنا ، ليتذكر هذا العهد المقدس .. هذا القسم الذي أقسمه . لذلك أنا أتوقع أن أُنقَذ من يد أعدائي بواسطة قوة مخلّصي الرب يسوع المسيح وأمانته في تحقيق هذا العهد والقسم الإلهي المقدس لي ، فأعبد إلهي بدون خوف ، في قداسة وبر أمامه جميع أيام حياتي . أتوقع أنه – على ما وعد – سيكون أميناً فيقدسني بالتمام ويحفظ روحي ونفسي وجسدي بلا لوم ، إلى مجيء ربنا يسوع المسيح . أنا في ذاتي لست إلاّ خاطئاً بائساً وهالكاً ، ولكن في مخلّصي « يَحِلُّ كُلُّ مِلْءِ اللاَّهُوتِ جَسَدِيًّا » ، وهو جعلني كاملاً فيه . لذلك أتوقع أن أثبت فيه و« كُلُّ مَنْ يَثْبُتُ فِيهِ لاَ يُخْطِئُ » .

أما الآن أيها الأخ ، ففيما يخص ما سوف أعظ به ، لا قول عندي سوى أني سأكشف لاخوتي في الإنسانية كل ما سيمكنني الله منه: « يَنْبُوعٌ مَفْتُوحًا لِبَيْتِ دَاوُدَ وَلِسُكَّانِ أُورُشَلِيمَ لِلْخَطِيَّةِ وَلِلْنَجَاسَةِ » (زكريا ١٣ : ١) . سوف أفعل كل ما في وُسعي

لأعرف إخوتي في الإنسانية بـ« عَهْدَهُ الْمُقَدَّسَ ، الْقَسَمَ الَّذِي حَلَفَ ... أَنْ يُعْطِيَنَا إِنَّنَا بِلاَ خَوْفٍ ، مُنْقَذِينَ مِنْ أَيْدِي أَعْدَائِنَا ، نَعْبُدُهُ بِقَدَاسَةٍ وَبِرّ قُدَّامَهُ جَمِيعَ أَيَّامِ حَيَاتِنَا » وبأن المسيح هو « قَرْنَ خَلاَصٍ » لتحقيق هذا العهد . هذا القسم من إله حافظ للعهد ، ومثله من المواعيد ، كلها « « النَّعَمْ » وَفِيهِ « الآمِينُ » ، لِمَجْدِ اللهِ ، بِوَاسِطَتِنَا » . بأن الذي دعاهم أمين أن يقدسهم بالتمام ويحفظ روحهم ونفسهم وجسدهم كاملاً بلا لوم عند مجيء ربنا يسوع المسيح . إن المسيح قد بذل نفسه من أجلنا ، لكي يقدّسنا بغسل الماء بالكلمة ، لكي يحضر إلى نفسه كنيسة مجيدة ، لا دنس فيها أو غضن أو أي شيء من مثل ذلك ، بل تكون مقدسة وبلا عيب ، وأن المؤمنين لا يضطرون إلى شيء سوى ما قاله بولس: « أُومِنُ بِاللهِ أَنَّهُ يَكُونُ هكَذَا كَمَا قِيلَ لِي » (أعمال ٢٧ : ٢٥) . فهم مثل إبراهيم « لاَ بِعَدَمِ إِيمَانٍ ارْتَابَ فِي وَعْدِ اللهِ ، بَلْ تَقَوَّى بِالإِيمَانِ مُعْطِيًا مَجْدًا لِلهِ . وَتَيَقَّنَ أَنَّ مَا وَعَدَ بِهِ هُوَ قَادِرٌ أَنْ يَفْعَلَهُ أَيْضًا » (رومية ٤ : ٢٠-٢١) ، ومثل سارة التي حسبته أميناً فيما وعد (عبرانيين ١١ : ١١) ، واضعين هذه الثقة في مخلّصهم ، سينالون تتميم مواعيد الله

العظمى والثمينة أن « تَصِيرُوا بِهَا شُرَكَاءَ الطَّبِيعَةِ الإِلهِيَّةِ ، هَارِبِينَ مِنَ الْفَسَادِ الَّذِي فِي الْعَالَمِ بِالشَّهْوَةِ » . وإذ نحصل على هذه المواعيد ولنا إيمان في المسيح أن يتممها « لِنُطَهِّرْ ذَوَاتِنَا مِنْ كُلِّ دَنَسِ الْجَسَدِ وَالرُّوحِ ، مُكَمِّلِينَ الْقَدَاسَةَ فِي خَوْفِ اللهِ » . هذا ما أعتبره ، يا أخي ، مجد الإنجيل وتميزه الفائق ، ألمع نجم في سماء الحق المُعلَن ، وبتصريح من مخلّصي أتوقع أن أدل إخوتي في الإنسانية لنجم الرجاء المنير هذا إلى أن يأكل الدود اليد التي تدل . إنهُ بالنسبة لي ينبوع ماء حي ، مَعِين لا ينضب من الحياة .. وأتوقع أن أقول لإخوتي في الإنسانية: « أَيُّهَا الْعِطَاشُ جَمِيعًا هَلُمُّوا إِلَى الْمِيَاهِ ، وَالَّذِي لَيْسَ لَهُ فِضَّةٌ تَعَالَوْا اشْتَرُوا وَكُلُوا . هَلُمُّوا اشْتَرُوا بِلاَ فِضَّةٍ وَبِلاَ ثَمَنٍ خَمْرًا وَلَبَنًا » (إشعياء ٥٥ : ١) ، ولن أكف حتى تعجز عن الكلام الشفاه التي سُمِح لها بامتياز النطق بمثل هذه الدعوة .

والآن ، يا أخي العزيز ، لقد كشفت لك عن مكنونات صدري بالتمام وبدون تحفظ ، وإلى الله أسلم أمري . على أن حق مخلّصي وقضيته أعز عندي من حياتي . « وَالْقَادِرُ أَنْ يَحْفَظَكُمْ غَيْرَ عَاثِرِينَ ، وَيُوقِفَكُمْ أَمَامَ مَجْدِهِ بِلاَ عَيْبٍ فِي الابْتِهَاجِ ، الإِلهُ

الْحَكِيمُ الْوَحِيدُ مُخَلِّصُنَا ، لَهُ الْمَجْدُ وَالْعَظَمَةُ وَالْقُدْرَةُ وَالسُّلْطَانُ ، الآنَ وَإِلَى كُلِّ الدُّهُورِ . آمِينَ » (يهوذا ٢٤-٢٥) .

خادم الإنجيل،

تشارلز فِتش .

خطاب إلى مشيخة نيوآرك

بقلم تشارلز فِتش ، راعي الكنيسة المشيخية الحُرَّة ،
نيوآرك ، نيوجرسي ، مرشد للكمال للمسيحيين
مجلد ١ ، رقم ٨ ، فبراير ١٨٤٠ .

إلى مشيخة نيوآرك

الإخـوة الأعـزاء :

بعـد اطِّلاعكـم علـى وجهـة نظـري ومشـاعري بخصـوص موضـوع التقديـس ، أصـدرتم قـراراً بشـأنها قـائلين إنـها في ضـلال مُبِـين وخطـير ، وحذّرتمونـي مـن الوعـظ بـها . فلابـد لـي أن أقـول أيـها الاخـوة ، وأرجـو أن أصنـع هـذا بتواضـع ووداعـة قلـب ، إنـي لا أقـدر أن آخـذ بتحذيركـم ، وذلـك للاعتبـارات التاليـة :

السبب الأول

منذ عدة سنوات ، وبعد موسم من الحزن والكآبة الروحية ، توصلت إلى أنه يوجد شيء في دين يسوع المسيح كنت غريباً عليه . كنت أرى نفسي خاطئاً في نظر الله ، مستحقاً غضبه الأبدي بجدارة . ورأيت أن الله يكون قدوساً وعادلاً وصالحاً ومستحقاً كل عبادة وهو يعاقبني بهلاك أبدي من وجهه ومن مجد قوته . وأيضاً رأيت في المسيح مخلّصاً استطاع -بعد تكفيره عن كل البشر على الصليب- أن يخلّص إلى التمام ، باستحقاقات كفارته ، كل من يأتي إلى الله بواسطته ؛ وعلى ذلك المخلص ألقيت نفسي واضعاً رجائي وثقتي فيه وحده ، باعتباره منقذي من غضب الله .

فلما وثقت في مخلصي المصلوب بشأن خلاصي ، امتلأت إلى حين بفرح عظيم ، وسرت في طريقي فرحاً . ولكن الأعوام توالت ، وصرت وكأني أجنبي على هذه المشاعر الحية في الرب ، فيما عدا الفترة الوجيزة عقب اختبار تجديدي .. حينئذٍ تذوقت بدرجة جيدة السلام الذي يجده كل من يأتي بقلب تائب عن الخطية ، ويثق في استحقاقات المخلص المصلوب

من أجل المغفرة والحياة الأبدية . غير أني توصلت إلى اقتناع تام بأن حالتي الروحية ليست كما ينبغي لها أن تكون . وقد نبع هذا الاقتناع من ناحية مما قرأته في الكتاب المقدس عن « غِنَى مَجْدِ هذَا السِّرِّ الَّذِي هُوَ الْمَسِيحُ فِيكُمْ رَجَاءُ الْمَجْدِ » ، « سَلاَمُ اللهِ الَّذِي يَفُوقُ كُلَّ عَقْل ، يَحْفَظُ قُلُوبَكُمْ وَأَفْكَارَكُمْ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ » « الَّذِي وَإِنْ لَمْ تَرَوْهُ تُحِبُّونَهُ . ذلِكَ وَإِنْ كُنْتُمْ لاَ تَرَوْنَهُ الآنَ لكِنْ تُؤْمِنُونَ بِهِ ، فَتَبْتَهِجُونَ بِفَرَحٍ لاَ يُنْطَقُ بِهِ وَمَجِيدٍ » ؛ ومن ناحية أخرى مما عرفته في ذلك الوقت عن اختبار بعض المؤمنين الذين كنت غريباً على اختبارهم .

فتوصلت حينئذٍ إلى قرار ثابت أن أعرف ، بمعونة الله ، المزيد عن الروحيات . ومنذ ذلك الحين ، أي منذ عدة سنوات خلت ، وأنا لا أزال أدعو المعرفة ، وأرفع صوتي إلى الفهم ، أطلبها كالفضة ، وأبحث عنها كالكنوز ، فحينئذٍ فهمت مخافة الرب ، ووجدت معرفة الله (راجع أمثال ٢:٢-٥) . قد فتّشت عن الخبز الروحي وعن ماء الحياة بجدية لم أشعر بها من قبل تجاه أي متاع في هذا العالم . فتّشت عنهما في الكتاب المقدس ، وفي اختبارات مؤمنين بارزين ذهبوا إلى مكافأتهم ، وفي كتابات

مسيحيين معاصرين بدا أنهم يعرفون غالبية الأمور الروحية . بحثت عنها في حديثي مع مَن تبدو عليهم معرفة أمور الله الدفينة أكثر من غيرهم ، وبحثت عنها وأنا راكع أسكب الدمع ، أصارع بجدية في اسم المسيح طلباً لتعاليم الروح القدس . ولمدة طويلة لم أضع في ذهني بركة محددة كغاية لهذا السعي ، سوى الحصول على المزيد من الروح القدس والاستعداد بشكل أفضل من ذي قبل للحياة وفق مجد الله . لكني تعرفت بواسطة عناية الله على بعض أولئك المسيحيين الذين يؤمنون بأن جميع تلاميذ المسيح لهم الامتياز أن يكونوا بواسطة « اللهِ الْعَظِيمِ وَمُخَلِّصِنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ ، الَّذِي بَذَلَ نَفْسَهُ لأَجْلِنَا ، لِكَيْ يَفْدِيَنَا مِنْ كُلِّ إِثْمٍ ، وَيُطَهِّرَ لِنَفْسِهِ شَعْبًا خَاصًّا غَيُورًا فِي أَعْمَال حَسَنَةٍ » فـ« بِدَمِ الْعَهْدِ الأَبَدِيِّ ، لِيُكَمِّلْكُمْ فِي كُلِّ عَمَل صَالِحٍ لِتَصْنَعُوا مَشِيئَتَهُ ، عَامِلاً فِيكُمْ مَا يُرْضِي أَمَامَهُ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ » – « يُقَدِّسُكُمْ بِالتَّمَامِ . وَلْتُحْفَظْ رُوحُكُمْ وَنَفْسُكُمْ وَجَسَدُكُمْ كَامِلَةً بِلاَ لَوْمٍ عِنْدَ مَجِيءِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ » « أَمِينٌ هُوَ الَّذِي يَدْعُوكُمُ الَّذِي سَيَفْعَلُ أَيْضًا » – فيطهركم « مِنْ كُلِّ دَنَسِ الْجَسَدِ وَالرُّوحِ ، مُكَمِّلِينَ الْقَدَاسَةَ فِي خَوْفِ اللهِ » « لأَنْ مَهْمَا كَانَتْ مَوَاعِيدُ اللهِ فَهُوَ فِيهِ « النَّعَمْ » وَفِيهِ « الآمِينُ » ، لِمَجْدِ اللهِ ، بِوَاسِطَتِنَا » . وهذا

بواسطة « الْمَوَاعِيدَ الْعُظْمَى وَالثَّمِينَةَ ، لِكَيْ تَصِيرُوا بِهَا شُرَكَاءَ الطَّبِيعَةِ الإِلهِيَّةِ ، هَارِبِينَ مِنَ الْفَسَادِ الَّذِي فِي الْعَالَمِ بِالشَّهْوَةِ » .

عندما تعرفت على هذه الفئة من المسيحيين لأول مرة ، عارضت آراءهم عن الحق بشدة ، ومما تعلمته من أخطاء مغالاة البعض الذين أقروا باعتناق هذا الحق والتمتع باختباره ، بدأت أنظر إلى الموضوع كله بمقت شديد . لكني تعلمت أنه لا ينبغي تحميل ذلك الحق مسؤولية المغالاة التي قد تؤدي إليها هذه الأخطاء ، أو مسؤولية خطايا أولئك الناس المتمسكين بالحق في حالة من الإثم .

فبينما أن أدعو المعرفة ، وأرفع صوتي إلى الفهم ، أخذ الرب يعلّمني المزيد والمزيد عن محبة المسيح ، فلم أسترد فقط محبتي الأولى ، بل عرفت في اختباري الجديد أن « سَبِيلُ الصِّدِّيقِينَ .. كَنُورٍ مُشْرِقٍ ، يَتَزَايَدُ وَيُنِيرُ إِلَى النَّهَارِ الْكَامِلِ » (أمثال ٤:١٨) ، وأن « مَنْ يَتْبَعْنِي فَلاَ يَمْشِي فِي الظُّلْمَةِ بَلْ يَكُونُ لَهُ نُورُ الْحَيَاةِ » ، وأن « سَلاَمُ اللهِ الَّذِي يَفُوقُ كُلَّ عَقْلٍ ، يَحْفَظُ قُلُوبَكُمْ وَأَفْكَارَكُمْ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ » « بِفَرَحٍ لاَ يُنْطَقُ بِهِ

وَمَجِيدٍ » ، فرح يتكلم عنه الوحي وصار واقعاً ملموساً في ذهني ؛ فتعلّمت الحق المبارك : « مَهْمَا كَانَتْ مَوَاعِيدُ اللهِ فَهُوَ فِيهِ « النَّعَمْ » وَفِيهِ « الآمِينُ » ، لِمَجْدِ اللهِ ، بوَاسِطَتِنَا » . وإنه امتياز المسيحي بفضل ثقته في المسيح من أجل تحقيق المواعيد أن يتمتع بتحقيق كل وعد منها ، تماماً كما حقق وعد الصفح للخاطئ المستيقظ حينما وثق في المسيح وحده أن يجري له ذلك .

فتساءلت حينئذٍ : ما الذي وعد الله به ، وما الذي يرغب في صنعه من أجلي إذا وثقتُ أن المسيح سيحققه؟ ففحصت الكتاب المقدس من هذا المنطلق ، ووجدت أن الله قال : « أُعَلِّمُكَ وَأُرْشِدُكَ الطَّرِيقَ الَّتِي تَسْلُكُهَا . أَنْصَحُكَ . عَيْنِي عَلَيْكَ » (مزمور ٣٢:٨) . وعلمت أن هذا الوعد نعم وآمين في المسيح لمجد الله بواسطتي ، ولذلك صليت ووثقت في المسيح أن يعلمني ويرشدني الطريق التي أسلكها ؛ أن يهديني بعينه إلى كل الحق الخاص بعقيدة التقديس . فلما قرأت الوعود الخاصة بالموضوع ، وجدتها تامة وصريحة : « وَيَخْتِنُ الرَّبُّ إِلهُكَ قَلْبَكَ وَقَلْبَ نَسْلِكَ ، لِكَيْ تُحِبَّ الرَّبَّ إِلهَكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ » . « وَأَرُشُّ عَلَيْكُمْ مَاءً طَاهِرًا فَتُطَهَّرُونَ . مِنْ كُلِّ نَجَاسَتِكُمْ وَمِنْ كُلِّ

أَصْنَامِكُمْ أُطَهِّرُكُمْ ... وَأَنْزِعُ قَلْبَ الْحَجَرِ مِنْ لَحْمِكُمْ وَأُعْطِيكُمْ قَلْبَ لَحْمٍ . وَأَجْعَلُ رُوحِي فِي دَاخِلِكُمْ ، وَأَجْعَلُكُمْ تَسْلُكُونَ فِي فَرَائِضِي ، وَتَحْفَظُونَ أَحْكَامِي وَتَعْمَلُونَ بِهَا ... وَأُخَلِّصُكُمْ مِنْ كُلِّ نَجَاسَاتِكُمْ » . « وَأَقْطَعُ لَهُمْ عَهْدًا أَبَدِيًّا أَنِّي لاَ أَرْجِعُ عَنْهُمْ لأُحْسِنَ إِلَيْهِمْ ، وَأَجْعَلُ مَخَافَتِي فِي قُلُوبِهِمْ فَلاَ يَحِيدُونَ عَنِّي » . « هذَا هُوَ الْعَهْدُ الَّذِي أَعْهَدُهُ مَعَهُمْ بَعْدَ تِلْكَ الأَيَّامِ ، يَقُولُ الرَّبُّ ، أَجْعَلُ نَوَامِيسِي فِي قُلُوبِهِمْ وَأَكْتُبُهَا فِي أَذْهَانِهِمْ وَلَنْ أَذْكُرَ خَطَايَاهُمْ وَتَعَدِّيَاتِهِمْ فِي مَا بَعْدُ » . كما وجدت أيضاً أن فادينا المسيح دُعِي يسوع « لأَنَّهُ يُخَلِّصُ شَعْبَهُ مِنْ خَطَايَاهُمْ » ، فإنه « أُظْهِرَ لِكَيْ يَرْفَعَ خَطَايَانَا ... كُلُّ مَنْ يَثْبُتُ فِيهِ لاَ يُخْطِئُ » . كذلك وجدت آيات كتابية بنفس القدر من التمام والصراحة .

ولكن بعد كل هذا انتصر عدم الإيمان في ذهني ، ولم أقدر أن أعرف كيف يمكن أن يتحقق لي في هذه الحياة الحاضرة أنّ « دَمُ يَسُوعَ الْمَسِيحِ ابْنِهِ يُطَهِّرُنَا مِنْ كُلِّ خَطِيَّةٍ » . ولكن لما أكثرت من الصلاة من أجل تعاليم روح الله ، وفتّشت عن الحق ، وجدت أنه « إِنِ اعْتَرَفْنَا بِخَطَايَانَا فَهُوَ أَمِينٌ وَعَادِلٌ ، حَتَّى يَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا

وَيُطَهِّرَنَا مِنْ كُلِّ إِثْمٍ » . إنه أمين أن يغفر كما هو أمين أن يطهر . وجدت أن المسيح قد أقيم ليكون « قَرْنَ خَلاَصٍ ... لِيَصْنَعَ رَحْمَةً مَعَ آبَائِنَا وَيَذْكُرَ عَهْدَهُ الْمُقَدَّسَ ، الْقَسَمَ الَّذِي حَلَفَ لإِبْرَاهِيمَ أَبِينَا : أَنْ يُعْطِيَنَا إِنَّنَا بِلاَ خَوْفٍ ، مُنْقَذِينَ مِنْ أَيْدِي أَعْدَائِنَا ، نَعْبُدُهُ بِقَدَاسَةٍ وَبِرّ قُدَّامَهُ جَمِيعَ أَيَّامِ حَيَاتِنَا » . ولما تساءلت لماذا لا تُحقَّق كل هذه المواعيد الغنية والتامة لشعب الله ، وجدت أنه على الرغم من كونها نعم وآمين في المسيح ، إلاّ أنها يجب أن تتحقق مثل المواعيد التي تتعهد بغفران الخطية لأولئك ، ولأولئك فقط ، الذين آمنوا بالمسيح أن يحققها . فقادني هذا إلى الإيمان بأنني لو تطهرت من كل إثم ، وغُفِرَت لي خطاياي ، فيجب أن أومن بتطهيري في مَن قيل عنه : « إِنِ اعْتَرَفْنَا بِخَطَايَانَا فَهُوَ أَمِينٌ وَعَادِلٌ ، حَتَّى يَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَيُطَهِّرَنَا مِنْ كُلِّ إِثْمٍ » . فجاهدت أن ألقي عليه نفسي مراراً كثيرة بالثقة البسيطة في أمانته أن يطهرني من كل إثم . غير أني لم أمتلك الدليل بعد لأبني عليه إيماني بأني تطهرت . فاستمررت أصلي على هذا الحال ، مجاهداً في ثقتي بالرب من أجل عطية تطهير الروح القدس هذه ، مشتاقاً أن أتطهر من كل إثم فوق كل شيء آخر . وبينما أنا على هذا الحال الذهني ،

أخذت عهدي الجديد وكتاباً صغيراً عن الكمال المسيحي للمؤلف «فِلْتشر» ، وعكفت على القراءة ، متأملاً ومصلياً بشأن هذا الموضوع . وفتحت كتاب فلتشر وقرأت هذه الفقرة التالية :

« إن قلبي يمزج الأنين بالشكوى الدفينة – جسدي يرقد لاهثاً يا ربي لك . وكل عضو ومفصل في جسدي يتطلع إلى النقاء الكامل . لكن إذا سُرَّ الرب بالإتيان لمساعدتك برفق ، إذا وضع حداً لفسادك بمساعدتك أن تغوص برفق إلى أعماق مجهولة من الوداعة ، إذا أغرق إنسان الخطية الساكن في الداخل بالتعميد .. بغمره في هُوَّة سحيقة من التواضع ، فلا تعيبنَّ بساطة أسلوبه أو سذاجة مظهره واعتياديةِ نظامه . فالطبيعة – كما كان الحال مع نعمان – مليئة بالأحكام المُسبَّقة . إنها تتوقع أن يأتي المسيح ليطهرها بضوضاء وموكب عظيم واستعجال ، كما توقع القائد السرياني حينما حَنِق وقال : « هُوَذَا قُلْتُ إِنَّهُ يَخْرُجُ إِلَيَّ ، وَيَقِفُ وَيَدْعُو بِاسْمِ الرَّبِّ إِلهِهِ ، وَيُرَدِّدُ يَدَهُ فَوْقَ الْمَوْضِعِ فَيَشْفِي الأَبْرَصَ » (٢ملوك ٥ : ١١) . إن المسيح كثيراً ما يسلك طريقاً أبسط في العمل ، وبذلك يُربك كل أفكارنا ومخططاتنا المُسبَقة للنجاة . تعلموا مني الوداعة وتواضع القلب ، فتجدوا راحة لنفوسكم (انظر متى ١١ : ٢٩) ، راحة حلوة من الكمال المسيحي والتواضع والاستسلام والوداعة الكاملة . إذا

أردت المجيء إلى جبل صهيون في مركبة ظافرة ، أو الدخول إلي أورشليم الجديدة على صهوة حصان وثّاب ، فمن الأرجح أنك لن تصل إلى هناك أبداً . فاترك وراءك إذاً كل اعتقاداتك الخاطئة ، وسِر بتواضع وراء الملك ، الذي دخل أورشليم الرمزية وديعاً متواضعاً ، راكباً على حمار وعلى جحش ابن أتان » .

تباركت هذه الملحوظات لي بشكل خاص . فبدت لي حقاً، روعة الغوص في الروح الوديع المتواضع لمخلّصي المبارك . كنت أحاول قبلاً الارتقاء فوق خطاياي ، فأتركها . لكني الآن شعرت بالغوص أسفلها إلى عمق من التواضع ، حيث لا ترغب روح الخطية غير المتضعة أن تلحقني ، وبدت لي روعة الغوص في أحضان مخلصي بعيداً عن طائلة خصومي الروحيين ، بينما داومت قبلاً على السعي للفرار منهم بالتحليق إلى أعلى . فأحسست في روحي بغوص حلو وسماوي للغاية في حضن فاديَّ ، لم أختبر مثله من قبل ، أتبعه سلام هادئ غير مُكدّر ومغبوط في المسيح .. لا يعوزني أن أحاول وصفه لمن ذاقوه ، ولا أستطيع وصفه لمن لم تشعر به قلوبهم . وقد صاحبه خضوع ممتع وتام في كل شيء لمشيئة الله ؛ فرح قلبي عظيم نبعه كوني تحت

تصرف الله سواء حياً أو ميتاً ؛ سعادة بالتخلي عن الأرض بكل متاعها وعرضها الفاني من أجل المسيح ؛ فيض من المحبة المتواضعة التائبة الممنونة لفاديَّ ؛ شبع لكوني أعلم أنه نصيبي الأبدي ؛ تسبيح لاسمه لأملكه نصيباً لنفسي إلى الأبد ؛ ثقة من كل القلب غير متخوِّفه في كل مواعيده ؛ واستعداد لعمل كل شيء وتحمل كل شيء ، حتى وإن أفضى هذا إلى وضع حياتي من أجله ، حتى إني أحسست باضطرار لأقول : « هذا هو نقاء القلب . إني أعلم أن لا شيء يستطيع ملء قلب كقلبي بمثل هذه الأحاسيس عدا الروح القدس » . لذلك آمنت أن هذا من عمل الروح القدس ، الذي طهّر قلبي من تدنيس الخطية . وأعلم أيضاً أن البعض مستعدون للقول : « لعل هذا من خداع إبليس ، فيقودك إلى أن ترتئي في نفسك فوق ما ينبغي » . لكني لا أظن أن إبليس حاول قط أن يملأ قلب أحد بمحبة الله . قال المسيح لتلاميذه : « وَأَنَا أَطْلُبُ مِنَ الآبِ فَيُعْطِيكُمْ مُعَزِّيًا آخَرَ لِيَمْكُثَ مَعَكُمْ إِلَى الأَبَدِ ، رُوحُ الْحَقِّ الَّذِي لاَ يَسْتَطِيعُ الْعَالَمُ أَنْ يَقْبَلَهُ ، لأَنَّهُ لاَ يَرَاهُ وَلاَ يَعْرِفُهُ ، وَأَمَّا أَنْتُمْ فَتَعْرِفُونَهُ لأَنَّهُ مَاكِثٌ مَعَكُمْ وَيَكُونُ فِيكُمْ » . فالتلميذ الحقيقي إذاً يعرف المعزِّي . أنا أعلم أن الأحاسيس التي وصفتها للتو حقيقة مباركة ، وأنه لم يتبقَّ

شيء في إرادتي أو مشاعري يتنافى معها ، ولذلك أنا أومن أن المخلص وهبني أن أعرف في تلك اللحظة شيئاً من غبطة الفداء من كل إثم والتطهر له . ومكثت على تلك الحال المباركة ردحاً من الزمن . وكان مجد مخلصي يشرق على نفسي دون غمامة . وكان يشرق عليَّ من قبل إشراقاً مثل شمس الظهيرة في سطوعها ، ولكن الآن بدلاً من أن يشرق من مكان معيّن في السماء ، بدأ يملأ جَلَد السماء كله ، فيسبغ عليَّ ضياءه اللطيف الحلو السماوي المحيي الباعث على الفرحة من كل جانب . كان النور والسعادة فوقي ومن حولي ، وبدا وكأن التسبيح لاسم فاديَّ قد صار لغة كل نسمة من نسماتي . ولا أقدر أن أشعر سوى أن الخطية لم تكن لها السيادة عليَّ وأنا في تلك الحال . أشعر أن الله نصرني في ذلك الوقت بواسطة ربنا يسوع المسيح .

غير أنه لم يكن يزل عليَّ أن أتعلم درساً آخر ، ومن الأرجح أنه لم تكن هناك إلاّ وسيلة واحدة لتعلمه : أن أتجرّع كأس الحزن –مثل بطرس– حتى أحترس في المستقبل . وكنت قد درجت في الماضي على القول إنه لو كان لأحد سبب كافٍ للاعتقاد بأنه تقدس بالتمام ، فلا داعي لنشر الخبر ، ولا شك

أن عدو نفسي كان يعرف عني ما يكفي لشن هجومه عليَّ في المنطقة التي يزيد فيها احتمال هزيمتي . فانقدت إلى القول إلى نفسي : « لا داعي لذكر هذا الموضوع . لا ، لن يقال عني أبداً إني أروح وأغدو متفاخراً بصلاحي الذاتي » . وقطعاً لم أكن أميل إلى التفاخر بصلاحي الذاتي ، لأني رأيت بوضوح أن كل ما أُجرِي داخلي كان من عمل الروح القدس ، وأنه لا يوجد باعث على التفاخر في ذاتي .

لكني توصلت أخيراً إلى قرار بأن لا أقول ، حتى إلى أعز أصدقائي ، إني أعتقد بتطهيري من الخطية ولو للحظة واحدة . وأتمتع بذلك بمفردي مع الله ، وأدَع حياتي تشهد . أما عاقبة ذلك فكانت أنه لما كنت أقف موقفاً أخشى فيه أن يشك أحد في أني أرتئي هذا في نفسي ، كنت أنقاد – بدافع إعطائه رأياً أفضل عن تواضعي– إلى القول بأني لا أُضمِر مثل هذا الرأي .

وهنا سقطت في الخطية . فبإنكاري لما أعتقد أنه أُجرِي في داخلي بواسطة الروح القدس ، جُعِلت أشعر بما كنت قد فقدته . قد قيل لي إني لا أقدر أن أمكث في الحالة الممتعة التي وجدت نفسي فيها دون الاعتراف لأجل كرامة المسيح بما أومن

أنه صنع من أجلي بروحه ، لكني لم أصدق ذلك . وبالتالي أقدمت على المحاولة ووقعت في فخ الشرير . فوجدت نفسي محاطاً بنفس الخطايا كما كنت في السابق ، وصارت حالتي تماماً مثلما كانت قبل ما أظن أن الله أراني من غبطة القلب النقي . أنا أعلم أنه بنكران ذلك العمل المبارك الذي أجراه الرب فيّ ، جلبت الهزال والظلام إلى نفسي .

ومع ذلك ، انقدت وأنا في تلك الحال إلى الرغبة الجادة والصلاة الحارة من أجل أن أكون مثل المسيح . وكان مضمون طلبتي أن أصير مثل المسيح بقدر ما هو ممكن لنفسٍ ما أن تكون في الجسد ، وشعرت بأني لا أقدر أن أرضى بما هو دون ذلك . فبعد أن واظبت على الصلاة إلى حين ، رأيت بجلاء ووضوح أن الله مستعد أن يجعلني مثل المسيح أكثر من أي شيء آخر ، وشعرت بحلاوة اليقين فيه أنه سيمنحني طلبتي . ثم أظهر لي الرب شروط كوني مثل المسيح ، وأني لا أقدر -بأية حال- أن أحصل على شبه المسيح دون الوفاء بهذه الشروط . رأيت أنه إذا عشت باراً في المسيح يسوع ، فلابد أن أقاسي الاضطهاد ، وأني لا أستطيع أن أكون مثل المسيح دون الاستعداد أن أشارك في

عاره . ثم أراني الروح القدس وقتئذٍ أن الخطية التي اقترفتها بإنكاري ما فعله الله لنفسي ، وبدأت أرى أن « الْقَلْبَ يُؤْمَنُ بِهِ لِلْبِرِّ ، وَالْفَمَ يُعْتَرَفُ بِهِ لِلْخَلاَصِ » (رومية ١٠ : ١٠) من الانقياد إلى الخطية مرة ثانية . وهذا ما لم أكن قد صنعته . إذ كنت قد آمنت بقلبي للبر ، ولكن عِوَض الاعتراف بفمي بالنعمة التي أعطانيها الله ، فأخلُص من خطية إنكارها ، رفضت الاعتراف ، ولما فعلت ذلك سقطت ثانيةً في يد خصومي الروحيين . ورأيت أنه لكي أستمر في التمتع بتلك البركة ، لابد أن أعترف بالكل وأتحمل العواقب . وعلمت أن العواقب لن تكون ضئيلة . علمت أن كل صديق لي على الأرض سوف يعتبرني ساقطاً تماماً لحظة تصريحي بهذا الاعتراف ، وأن إخوتي في الخدمة ، الذين طالما قدّرت ثقتهم فوق كل متاع دنيوي ، سيسحبون ثقتهم في الحال ، وأغلب الظن أنهم سوف يلقون بي من وسطهم .

والآن كنت قد وصلت حقاً إلى قلع العين اليمنى وبتر اليد اليمنى ، إلى الدرجة التي ينبغي معها أن أترك « بُيُوتًا أَوْ إِخْوَةً أَوْ أَخَوَاتٍ أَوْ أَبًا أَوْ أُمًّا أَوِ امْرَأَةً أَوْ أَوْلاَدًا أَوْ حُقُولاً مِنْ أَجْلِ اسْمِي » (متى ١٩ : ٢٩) . فهل أقوى على هذه التضحية؟ هل

أستطيع أن أصبح منبوذاً من إخوتي ، وغريباً على بني أمي؟ هل يمكنني أن أصبح مفقوداً للأصدقاء الذين أحببتهم إلى حد بعيد ، ويكون اسمي منبوذاً لرداءته ممّن رغبت أن أحافظ على احترامهم لي ، إرضاءً لمخلصي واستمتاعاً بمحبته كما سمح لي لفترة وجيزة من قبل؟ كان الصراع قاسياً .. فقد تكلّفت ما يتكلّفه أيٌ من إخوتي للقيام بهذه التضحيات ، لكني لم أطِق التردد طويلاً . كنت صليت لأتمتع بمحبة المخلص على الدوام ، وهو الآن قد أراني كم يكلف هذا . ومباركٌ اسمه الذي قوّاني لأختار محبته ، حتى وإن كلّفني ذلك التضحية بكل ما أحسبه غالياً على الأرض .

تأيّدتُ لأُصلِّي أن أرجعني ثانيةً ، يا رب ، إلى تلك الحالة المباركة من النقاء والسلام الواعي ومحبتك والغبطة فيك التي تمتّعت بها قبلاً ، فأعلن عن أمانتك إلى العالم ، وأدَع اسمي الحقير يُعيَّر إذا استلزم الأمر . خلّصني يا رب من خطاياي .. افدني من كل إثم ، وامنحني دليلاً يمكنني الاعتماد عليه ، لكي أنطلق أمام العالم من غير ادعاءات منافقة بأشياء لا أمتلكها . طهّرني بالفعل والحق من كل إثم ، وامنحني دليلاً

تاماً وكافياً على أنك أجريت ذلك من أجلي ، فأعلن عن أمانتك وألاقي كل ما يترتب على ذلك بقوتك .

وبينما أنا على هذا الحال ، التقطت كتابي المقدس ووصلت إلى الفقرة التالية في رسالة الرسول بولس إلى أهل رومية : « كَذلِكَ أَنْتُمْ أَيْضًا احْسِبُوا أَنْفُسَكُمْ أَمْوَاتًا عَنِ الْخَطِيَّةِ ، وَلكِنْ أَحْيَاءً لِلهِ بِالْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبِّنَا » .

وكنت قد تأملت في هذه الفقرة ، وبدا لي أنها تحمل معنى لا أفهمه . وقلت في بالي : ماذا لو حسبت نفسي ميتاً عن الخطية؟ كيف يجعلني مجرد احتساب نفسي ميتاً عن الخطية ميتاً بالفعل؟ كيف يتم إجراء أي تغيير في حالة قلبي أمام الله باجتهادي أن أحسب نفسي هكذا؟ فتأملت مرة أخرى في الأمر القائل : « كَذلِكَ أَنْتُمْ أَيْضًا احْسِبُوا أَنْفُسَكُمْ أَمْوَاتًا عَنِ الْخَطِيَّةِ » ، وقلت في قلبي إني سأسعى جاهداً لأفعل ذلك . لكني وجدت نفسي عاجزاً تماماً عن فعل ذلك بأي شكل يرضيني ويقنعني بأني حقاً ميت عن الخطية . لم أكن أرغب في استخلاص تعزية من الخطإ بإخلاص فيما يتعلق بأخلاقي . « كَمَا يَشْتَاقُ الإِيَّلُ إِلَى

جَـدَاوِلِ الْمِيَـاهِ ، هكَـذَا تَشْـتَاقُ نَفْسِـي إِلَيْـكَ يَـا اللهُ » (مزمـور ٤٢: ١) ، هكـذا اشـتاقت نفسـي إلى التنفيـذ الكـامل لمشـيئة الله . وأحسست أن شيئاً لـن يشبعني ولـو للحظـة سـوى أن أكـون « ميتـاً عَـنِ الْخَطِيَّـةِ ، وَلكِـنْ حيـاً لِلـهِ » بـالفعل . ولم يكـن طموحـي أن يظـن الآخـرون أنـي بـريء مـن الخطيـة الـتي أحـاول أن أراضيـها ، لأنـي إذا تمكنـت مـن جعـل العـالم أجمـع يصـدق – خطـأً – أنـي بـريء مـن الخطيـة ، فمـا كـان هـذا لـيرضي اشـتياقات نفسـي بـأي درجـة مـن الدرجـات . فلـو امتلكـت كـل الـثروة وأحـرزت كـل الكرامـة وتمتّعت بكـل المتعـة الـتي يمكـن أن يسـبغها العـالم عليّ وظنـني كـل مخلـوق مـن مخلوقـات الله في السـماء والأرض أنـي طـاهر مثـل الأرواح الـتي تخـدم دومـاً أمـام العـرش الأبـدي ، فمـا كـان كـل هـذا ليصنع شـيئاً لإشـباع الرغبـات الـتي اضطرمـت في قلـبي للتطـهر « مِـنْ كُلِّ إِثْـمٍ » .

ولكـني إذ لم أزل واضعـاً عيـني علـى الأمـر القـائل : « كَذلِـكَ أَنْتُـمْ أَيْضًـا احْسِـبُوا أَنْفُسَـكُمْ أَمْوَاتًـا عَـنِ الْخَطِيَّـةِ ، وَلكِـنْ أَحْيَـاءً لِلـهِ بِالْمَسِيحِ يَسُـوعَ رَبِّنَـا » ، عجـزت عـن أن أعـرف كيفيـة صنـع ذلـك ، فيكـون الأمـر بـالفعل وبـالحق واقعـاً حقيقيـاً في نظـر الله .. فـإن شـيئاً

لن يشبعني دون ذلك ولو للحظة . وإذا بي أتذكر الوعد المبارك الذي فاه به مخلصنا الله المحب والمجيد : « وَأَمَّا مَتَى جَاءَ ذَاكَ ، رُوحُ الْحَقِّ ، فَهُوَ يُرْشِدُكُمْ إِلَى جَمِيعِ الْحَقِّ » (يوحنا ١٦ : ١٣) . « يُعَلِّمُكُمْ كُلَّ شَئٍ ، وَيُذَكِّرُكُمْ بِكُلِّ مَا قُلْتُهُ لَكُمْ » (يوحنا ١٤ : ٢٦) . فطرحت نفسي لدن الرب ، وصليت باسم المسيح أن يرشدني الروح القدس إلى جميع الحق الخاص بالفقرة التي أمامي ، ويعلمني كيف أحسب نفسي ميتاً عن الخطية وحياً لله ، بحيث يكون ذلك واقعاً ملموساً وليس نسجاً من وحي الخيال . فبعدما أعلنت عن طلبتي ، وثقت في المسيح أن يمنحني تعاليم الروح . « يُعْطِيَكُمُ الآبُ كُلَّ مَا طَلَبْتُمْ بِاسْمِي » (يوحنا ١٥ : ١٦) . فوضعت ثقتي في المخلص ، وآمنت أنه من أجل خاطر نفسه سيريني كيف أنْ « أحسب نفسي ميتًا عَنِ الْخَطِيَّةِ ، وَلكِنْ حيّاً لِلهِ بِالْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبِّنَا » .

في الحال ، وبينما أنا راكع على ركبتيّ والكتاب المقدس المبارك مفتوح أمامي عند هذه الكلمات ، بدا وكأن فيضاً من النور السماوي انسكب عليها ، فامتلأت أعماق نفسي « بِفَرَحٍ لاَ يُنْطَقُ بِهِ وَمَجِيدٍ » (١بطرس ١ : ٨) بالفكرة التي بدت واضحة في

ذهني وضوح الشمس في رابعة النهار ، أن أحسب نفسي « ميتاً عَنِ الْخَطِيَّةِ » بالثقة في ربي يسوع المسيح أن يحفظني ميتاً عن الخطية ، « وَلكِنْ حياً لِلهِ بِالْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبِّنَا » بالثقة في ربي يسوع المسيح أن يحفظني حياً لله . فرأيت أن هذا هو معنى أن أحسب نفسي ميتا عن الخطية ولكن حيا لله بالمسيح يسوع ربي . لب المسألة هو التوقف أبداً عن وضع ثقتي في قوتي الذاتية ، والاتكال التام على قوة وأمانة مخلصي الحبيب والمبارك يسوع المسيح أن يطهرني ويحفظني طاهراً في الداخل ، ويجعلني ميتاً ويبقيني ميتاً عن الخطية ، ويجعلني حياً ويبقيني حياً لله . وإذا كنت وجدت نفسي في تلك اللحظة مَلِكاً للعالم ، ألبس تاجه فوق رأسي وأُمسِك بصولجانه في يدي وأُكدّس كنوزه عند قدميّ ويكون كل فرد في جموعه مستعداً لطاعة أمري ، فما كان ذلك ليمدني بالفرحة التي أحسست بها حينما رأيت الامتياز الذي وهبه إياي إله المحبة اللامتناهية أن أحسب نفسي ميتاً عن الخطية بالثقة في يسوع المسيح ربي أن يجعلني حياً ويبقيني حياً . وما أمجد وأبهى ظهور مخلصي وقتئذٍ! « فَلَمْ أَشْعُرْ إِلاَّ وَقَدْ جَعَلَتْنِي نَفْسِي بَيْنَ مَرْكَبَاتِ قَوْمٍ شَرِيفٍ » (نشيد الأنشاد ٦:١٢) . لو أن لي التاج والصولجان والغنى والإجلال ، لكنت

طفرت فرحاً وجريت لأعطي المسيح الصولجان والتاج والغنى والإجلال ، وأضع نفسي في التراب عند قدميه لأكون أكثر خدامه تواضعاً وحِطّة في المرتبة إلى أبد الدهر . منذ عرفت امتيازي الرفيع أن أحسب نفسي ميتاً عن الخطية ولكن حياً لله بالمسيح يسوع ربي ، و« اسْمُكَ دُهْنٌ مُهْرَاقٌ ، لِذلِكَ أَحَبَّتْكَ الْعَذَارَى » ، « لِيُقَبِّلْنِي بِقُبْلاَتِ فَمِهِ ، لأَنَّ حُبَّكَ أَطْيَبُ مِنَ الْخَمْرِ ... اُجْذُبْنِي وَرَاءَكَ فَنَجْرِيَ . أَدْخَلَنِي الْمَلِكُ إِلَى حِجَالِهِ . نَبْتَهِجُ وَنَفْرَحُ بِكَ . نَذْكُرُ حُبَّكَ أَكْثَرَ مِنَ الْخَمْرِ . بِالْحَقِّ [أو بقوته] يُحِبُّونَكَ » (نشيد الأنشاد ١ :٣،٢،٤) .

فعندما ألهمني الروح القدس نوراً بخصوص امتياز احتساب نفسي ميتاً عن الخطية ولكن حياً لله بواسطة يسوع المسيح ربي ، أعانني هو في تلك اللحظة أن أنتفع بالامتياز ، ففي الحال وجدت نفسي وقد استرجعت حالة نقاوة القلب الواعية المباركة أمام الله ، التي كنت سقطت منها برفضي أن أعترف أمام الناس بما فعله مخلّصي من أجلي .

مضت محبة العالم .. لم يعد التمادي في أي خطية يفتنني . ربح المسيح قلبي كاملاً ، فامتلأ بمحبة فائضة لشخصه . وأشعر

أنـي لـو امتلكـت ألـف قلـب ، لكـانت تكرّسـت بفـرح تـام لخدمتـه . لم تعـد لـي إرادة سـوى إرادتـه ، أو رغبـة في الحيـاة أو المـوت أو الأبديـة سـوى أن يحقـق مصـيري أرفـع تسـبيح ممكـن لفـاديَّ . كنـت قـد تحـررت وقتئـذٍ مـن خـوف الإنسـان ، وإذ تعـهدت للـرب بـأن أعـترف بأمانتـه للعـالمين حينمـا يمنحـني دليـلاً يثبـت لـي أنـي افتديـت مـن كـل إثـم ، وجـدت نفسـي الآن « ميتـاً عَـنِ الْخَطِيَّـةِ ، وَلكِـنْ حيـاً لِلـهِ » ، بشـكل أمجـد وأبـهج مـن أي شـيء تصوّرتـه في المـاضي . اسـتنرت اسـتنارة غنيـة بخصـوص امتيـاز كـل مسـيحي أن يُحفَـظ في تلـك الحـال بأمانـة الفـادي الغـالي ، فلـم أقـوَ علـى الـتردد للحظـة . فكـان مـن الواجـب عليَّ أن أعلـن للعـالمين أنـه بقـوة الـروح القـدس المعطـاة لـي بواسـطة مخلصـي المبـارك ، جُعِلـت « ميتًـا عَـنِ الْخَطِيَّـةِ ، وَلكِـنْ حيّـاً لِلهِ بِالْمَسِيحِ يَسُـوعَ رَبِّنَـا » .

فضـلاً عـن ذلـك ، كنـت قـد عرفـت مـرارة إنكـار مخلصـي هنـا ، والعمـل المبـارك الـذي أجـراه بداخلـي ، بُغيَـة الحفـاظ علـى رأي النـاس الحسـن فيَّ ، فأقـام الـروح القـدس هـذه الخطيـة أمـامي ، وفتحـت فمـي للـرب قـائلاً إنـه إذا أرجعـني فسـأحمل عـاره . فأعـانني مـرة ثانيـة – برحمتـه الغنيـة اللامتناهيـة – أن « الْقَلْـبَ

يُؤْمَنُ بِهِ لِلْبِرِّ » ، وبقي أن « الْفَمَ يُعْتَرَفُ بِهِ لِلْخَلاَصِ » من السقوط ثانية في فخ إبليس (رومية ١٠ : ١٠) .

فتأيدت للتصريح بهذا الاعتراف للعالمين ؛ أنَّ « اللهِ الْعَظِيمِ وَمُخَلِّصِنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ ، الَّذِي بَذَلَ نَفْسَهُ لأَجْلِنَا ، لِكَيْ يَفْدِيَنَا مِنْ كُلِّ إِثْمٍ ، وَيُطَهِّرَ لِنَفْسِهِ شَعْبًا خَاصًّا غَيُورًا فِي أَعْمَال حَسَنَةٍ » (تيطس ٢ : ١٣-١٤) ، أني ميت عن الخطية وحي لله بالمسيح يسوع ربي ، أن إله السلام أمين أن يقدسني بالتمام ، فيحفظ روحي ونفسي وجسدي بالتمام بلا لوم عند مجيء يسوع المسيح ربي ، أن إله السلام الذي أحيا أيضاً راعي الخراف العظيم ، ربنا يسوع ، « بِدَمِ الْعَهْدِ الأَبَدِيِّ ، لِيُكَمِّلْكُمْ فِي كُلِّ عَمَلٍ صَالِحٍ لِتَصْنَعُوا مَشِيئَتَهُ ، عَامِلاً فِيكُمْ مَا يُرْضِي أَمَامَهُ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ ، الَّذِي لَهُ الْمَجْدُ إِلَى أَبَدِ الآبِدِينَ . آمِينَ » . أحسست أنه باعترافي هذا وضعت نفسي وكُلِّي ذبيحةً على مذبح إلهي ومخلصي . لكن ذاك المخلص قادني بمحبته المدهشة ومنحني قلباً لا يقدر على إنكاره بعد ، مستعداً ومبتهجاً في وجه كل المخاطر أن يعترف بأمانته وقدرته ومحبته للعالمين .

كنت على علم بأن العالم سوف يلومني ، وأن شعب الله

المعترفين به سينبذون اسمي لرداءته . كنت على علم بأن الكثيرين من أصدقائي الأعزاء عليَّ الذين أحببتهم للغاية سينوحون عليَّ وكأني فُقِدتُ . كنت على علم بأن الثقة التي منحتها لي الكنائس التي ارتبط اسمي بها ستُسحَب مني ، وربما انقطع عني تماماً كل توقع بإعالة نفسي وعائلتي . لكني علمت أن وليي حي ، وأن كل سلطان في السماء وعلى الأرض قد دُفِع إليه ، وأن كل ما عليّ هو أن « اطْلُبُوا أَوَّلاً مَلَكُوتَ اللهِ وَبِرَّهُ ، وَهذِهِ كُلُّهَا تُزَادُ لَكُمْ » (متى ٦:٣٣) ، غير شاكّ في شيء ولكن تَأَمَّلُوا زَنَابِقَ الْحَقْلِ كَيْفَ تَنْمُو ... وَلكِنْ أَقُولُ لَكُمْ : إِنَّهُ وَلاَ سُلَيْمَانُ فِي كُلِّ مَجْدِهِ كَانَ يَلْبَسُ كَوَاحِدَةٍ مِنْهَا » (متى ٦:٢٨-٢٩) ، وهو سيقوتني أنا وذويَّ .

وبينما أنا في تلك الحال الذهنية ، اعترفت وأنا على مذبح إلهي بما علمّني إياه الله عن حقه ، وبما شعرت به من نعمته المطهّرة والمقدّسة في المسيح يسوع ، وبذلك أدّيت واجباً لابد أنني انقدت إليه بمحبة مخلصي الذي صُلِب مرة وأما الآن فهو في المجد ، التي أعلنها لي الروح القدس . ولا يخامرني شك في أن إقدامي على تلك الخطوة كان بدافع محبة المسيح ، مثلما لا

يخامرني شك في شخص المسيح أو في وجودي أنا شخصياً . كما أعلم أيضاً أني لم أُقدِم عليها بدافع محبة العالم ؛ لأني ما كنت أفعل ذلك أبداً حتى ولو انتُزِع مني آخر أثر لمحبة العالم . علمت أني ما لم أجعل من العالم كله ذبيحة كاملة للمسيح ، لما استطعت تعريض نفسي للازدراء بهذا الشكل .

وفي صباح اليوم الذي يعقب السبت مباشرةً حينما « شهدت بهذا الاعتراف » لأول مرة أمام الناس ، كانت لي فترة شركة مع الله . وسأحكي عنها لاعتقادي بأن ذلك سيعود بالنفع . كنت وحدي في غرفتي ، أتأمل بعض فقرات الوحي التي تذكر أمانة الله . وهي كالتالي : « أَمِينٌ هُوَ اللهُ الَّذِي بِهِ دُعِيتُمْ إِلَى شَرِكَةِ ابْنِهِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ رَبِّنَا » (١كورنثوس ١ : ٩) ؛ « وَإِلهُ السَّلاَمِ نَفْسُهُ يُقَدِّسُكُمْ بِالتَّمَامِ . وَلْتُحْفَظْ رُوحُكُمْ وَنَفْسُكُمْ وَجَسَدُكُمْ كَامِلَةً بِلاَ لَوْمٍ عِنْدَ مَجِيءِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ » ؛ « وَلكِنَّ اللهَ أَمِينٌ ، الَّذِي لاَ يَدَعُكُمْ تُجَرَّبُونَ فَوْقَ مَا تَسْتَطِيعُونَ ، بَلْ سَيَجْعَلُ مَعَ التَّجْرِبَةِ أَيْضًا الْمَنْفَذَ ، لِتَسْتَطِيعُوا أَنْ تَحْتَمِلُوا » (١كورنثوس ١٠ : ١٣) ؛ « ثُمَّ رَأَيْتُ السَّمَاءَ مَفْتُوحَةً ، وَإِذَا فَرَسٌ أَبْيَضُ وَالْجَالِسُ عَلَيْهِ يُدْعَى أَمِينًا وَصَادِقًا » (رؤيا ١٩ : ١١) .

واسمه يُدعى أيضاً كلمة الله . « وَلَهُ عَلَى ثَوْبِهِ وَعَلَى فَخْذِهِ اسْمٌ مَكْتُوبٌ :« مَلِكُ الْمُلُوكِ وَرَبُّ الأَرْبَابِ » » (رؤيا ١٩ : ١٦) . فبينما أنا أُمعِن التفكير في أمانة إلهي ومخلصي ، أحسست بانفعال لا يمكن وصفه ، انسكب إلى خارجي في هيئة فيضانات من المحبة المتدفقة عند قدمي فاديَّ . أحسست بأني تخليت عن كل شيء من أجله ، ولا يسعني الآن سوى أن أضع نفسي في يديه أستأمنه على كل مصالحي . وأما الآن ، وقد استشعرت بالأمان لمّا استأمنته على كل شيء ، تهللت نفسي ابتهاجاً ، حتى أنني سرت من غرفتي وأنا أبكي من الفرح بصوت عالٍ ، وأسكب الدمع من فرط بهجتي وأنا أكرر نفس التعبير عينه : « إلهي الأمين .. إلهي الأمين » .

ومنذ ذلك وإبليس ينازعني المرة بعد المرة ، غير أني لم أشك لحظةً في أمانة فاديَّ في تخليص كل شعبه من خطاياهم ، أي المؤمنين باسمه ، وتحقيق هذه البركة لهم . وأرى بوضوح أن السبب الوحيد في عدم نوال أي مسيحي الخلاص من الخطية هو « عَدَمِ الإِيمَانِ » (رومية ١١ : ٢٠) .

أنا –بأي حال– لم أكن في الحالة التي أتمنى أو أتوقع أن

أكون عليها ، إذ أرى أنه من امتيازات المسيحي الذي افتُدي من كل إثم أن « أَنْسَى مَا هُوَ وَرَاءُ وَأَمْتَدُّ إِلَى مَا هُوَ قُدَّامُ » (فيلبي ٣:١٣) و« نَاظِرِينَ مَجْدَ الرَّبِّ بِوَجْهٍ مَكْشُوفٍ ، كَمَا فِي مِرْآةٍ ، نَتَغَيَّرُ إِلَى تِلْكَ الصُّورَةِ عَيْنِهَا ، مِنْ مَجْدٍ إِلَى مَجْدٍ ، كَمَا مِنَ الرَّبِّ الرُّوحِ » (٢كورنثوس ٣:١٨) . أنا أومن أن التطهر من كل إثم ليس – بأي حال – ذروة امتياز المسيحي على الأرض ، بل أنه يقدر أن يتخطى هذا الحد « أَنْ تُدْرِكُوا مَعَ جَمِيعِ الْقِدِّيسِينَ ، مَا هُوَ الْعَرْضُ وَالطُّولُ وَالْعُمْقُ وَالْعُلْوُ ، وَتَعْرِفُوا مَحَبَّةَ الْمَسِيحِ الْفَائِقَةَ الْمَعْرِفَةِ » ، وأن يمتلئ أكثر فأكثر بـ« كُلِّ مِلْءِ اللهِ » (أفسس ٣:١٨–١٩) . وحتى ذاك الحين قد نقول له مع الرسول : « وَالْقَادِرُ أَنْ يَفْعَلَ فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ ، أَكْثَرَ جِدًّا مِمَّا نَطْلُبُ أَوْ نَفْتَكِرُ ، بِحَسَبِ الْقُوَّةِ الَّتِي تَعْمَلُ فِينَا ، لَهُ الْمَجْدُ فِي الْكَنِيسَةِ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ إِلَى جَمِيعِ أَجْيَالِ دَهْرِ الدُّهُورِ . آمِينَ » (أفسس ٣:٢٠–٢١) .

سوف ترون الآن يا إخوة فيما حكيته لكم من قيادة وتعاليم روح الله لنفسي لماذا لا يمكنني أن آخذ بتحذيركم وأكف عن التعليم بالتقديس الكامل بالإيمان في المسيح . فلا أستطيع فعل

ذلك دون احتساب نفسي خائناً لربي وسيدي المبارك ، الذي أظهر لي – أنا دودة الأرض الشقي الحقير المستحق نار جهنم – إظهارات من محضره وحبه ، باهرة ومجيدة ، تفوق بكثير كل ما تصورته . أنا أصدق « إِلـهُ السَّلاَمِ نَفْسُهُ يُقَدِّسُكُمْ بِالتَّمَامِ . وَلْتُحْفَظْ رُوحُكُمْ وَنَفْسُكُمْ وَجَسَدُكُمْ كَامِلَةً بِلاَ لَوْمٍ عِنْدَ مَجِيءِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ » . وأشعر بأن « الضَّرُورَةُ مَوْضُوعَةٌ عَلَيَّ ، فَوَيْلٌ لِي إِنْ كُنْتُ لاَ أُبَشِّرُ » (١كورنثوس ٩:١٦) . وقد حاولت الهرب من تأدية الواجب مثل يونان حينما فرّ إلى ترشيش . ومثل إرميا « قُلْتُ : «لاَ أَذْكُرُهُ وَلاَ أَنْطِقُ بَعْدُ بِاسْمِهِ» . فَكَانَ فِي قَلْبِي كَنَارٍ مُحْرِقَةٍ مَحْصُورَةٍ فِي عِظَامِي ، فَمَلِلْتُ مِنَ الإِمْسَاكِ وَلَمْ أَسْتَطِعْ » (إرميا ٢٠:٩) . لقد أنكرت أمانة فاديّ مرة ، لكنه سامحني ورَدَّ لي متعة محبته ، وكان أميناً لوعده فـ« يَخْتِنُ الرَّبُّ إِلهُكَ قَلْبَكَ ... لِكَيْ تُحِبَّ الرَّبَّ إِلهَكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ » . ينبغي أن أذيعها على العالم : ليكن له المجد ، ولأحمل أنا العار الذي يجب عليّ من أجل اسمه . ينبغي أن أعترف بذلك للعالمين من أجل إخبار شعب الله ببركاتهم الرفيعة في المسيح يسوع بقدر إمكاني . « وَأُعَرِّفُكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ الإِنْجِيلَ الَّذِي بَشَّرْتُ بِهِ ، أَنَّهُ لَيْسَ بِحَسَبِ إِنْسَانٍ . لأَنِّي لَمْ أَقْبَلْهُ مِنْ عِنْدِ

إِنْسَانٍ وَلاَ عُلِّمْتُهُ . بَلْ بِإِعْلاَنِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ » (غلاطية ١: ١١-١٢) . وأما الآن « إِنْ كَانَ حَقًّا أَمَامَ اللهِ أَنْ نَسْمَعَ لَكُمْ أَكْثَرَ مِنَ اللهِ ، فَاحْكُمُوا . لأَنَّنَا نَحْنُ لاَ يُمْكِنُنَا أَنْ لاَ نَتَكَلَّمَ بِمَا رَأَيْنَا وَسَمِعْنَا » (أعمال ٤: ١٩-٢٠) .

السبب الثاني

لا أستطيع الكف عن الوعظ بعقيدة التقديس أو الشهادة عن اختباري الشخصي لها لنفس السبب عينه الذي من أجله لا تستطيعون الكف عن الوعظ بعقيدة التجديد والشهادة عن اختباركم الشخصي لها . هَبوا أنكم صممتم على أنه « إِنْ كَانَ أَحَدٌ لاَ يُولَدُ مِنْ فَوْقُ لاَ يَقْدِرُ أَنْ يَرَى مَلَكُوتَ اللهِ » (يوحنا ٣: ٣) ، ولكن حينما سئلتم إذا كنتم تمتعتم أنتم أو غيركم بهذه البركة ، تقولون : « لا ، على الإطلاق . إنه خطأ كبير وخطير أن يفكر أي إنسان هكذا . فهذا أمر لا يحدث إلاّ عند الموت » . فما تأثير مثل هذا الوعظ على الناس؟ وكم منهم سيولد ثانية بواسطته؟ لذلك تشعرون أنكم مضطرون إلى الدفاع عن اختبارية التجديد ، وأنكم أنتم وآخرون كثيرون تتمتعون به اختبارياً . ولكن ، بينما تخبرون شعبكم بضرورة تبرؤهم من الخطية ،

ولا عذر له على الإطلاق أن لا يكونوا كذلك ، وبينما تصلون أن يُفتَدوا من كل إثم ، يعلمون هم علم اليقين أنكم لا تتوقعون حدوث ذلك وهم على قيد الحياة ، ومن ثم تضيع كل تشجيعاتكم وصلواتكم هباءً . شعبكم يعلم أنكم تتوقعون منهم أن يظلوا عائشين في الخطية حتى الموت ، لذلك تكون كل مجهوداتكم لتقديس شعب الله غير مجدية البتة . أما من ناحيتي ، فأشعر بالاضطرار إلى إخبار شعب الله بوجود طريقة يمكن بها أن « نُطَهِّرْ ذَوَاتِنَا مِنْ كُلِّ دَنَسِ الْجَسَدِ وَالرُّوحِ ، مُكَمِّلِينَ الْقَدَاسَةَ فِي خَوْفِ اللهِ » ليُعمَل هذا بواسطة مواعيد الله التي هي « « نَعَمْ » وَفِيهِ « الآمِينُ » » . إذاً فحينما « أَتْعَبُ أَيْضًا مُجَاهِدًا ، بِحَسَبِ عَمَلِهِ الَّذِي يَعْمَلُ فِيَّ بِقُوَّةٍ » ، « مُنْذِرِينَ كُلَّ إِنْسَانٍ ، وَمُعَلِّمِينَ كُلَّ إِنْسَانٍ ، بِكُلِّ حِكْمَةٍ ، لِكَيْ نُحْضِرَ كُلَّ إِنْسَانٍ كَامِلاً فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ » مع الرسول بولس (كولوسي ١ : ٢٨، ٢٩) ، أشعر أني لا أحرّضهم على مطاردة شبح ، لابد وأن يفر منهم إلى الموت مهما جدوا في أثره ، وإنما أقودهم إلى التمتع بواقع مبارك ومجيد مُذخَّر لهم في المسيح ، بمقدور كل واحد منهم أن يضمنه ويتمتع به بغنى . زيادةً على ذلك ، حينما يُسمَح لي بواسطة غنى محبة الله الفائق في المسيح يسوع أن

أقول إني اختبرت النعمة التي أقدمها لهم ليقبلوها ، أكون قد جرّدتهم من كل أعذار وحجج لتبرير خطاياهم ، ولذا أرجو أن يرافق روح الله حقه ، ويهديهم طريق المعرفة والفهم . إني أقول للمسيحيين : « هذِهِ هِيَ إِرَادَةُ اللهِ : قَدَاسَتُكُمْ » (١تسالونيكي ٤ :٣) . « لأَنَّ اللهَ لَمْ يَدْعُنَا لِلنَّجَاسَةِ بَلْ فِي الْقَدَاسَةِ » ، بينما تضطرون أنتم بفعل مبادئكم الشخصية أن تخبروهم أنهم مُغلَق عليهم ، إلى حد ما ، في حياة خاطئة . أيها الإخوة ، لا يمكنني أن أشارككم هذا الرأي ، ولذلك أنا لا آخذ بتحذيركم .

يبدو لي أنه يوجد تناقض عجيب وغريب في تحريضكم المسيحيين على قداسة القلب والحياة ، وإخباركم إياهم – في آن واحد – أنهم لن يكونوا بلا خطية أبداً طالما هم أحياء ، وأنهم إذا ظنوا أن المسيح الذي أُظهِر لينزع خطاياهم سيفعل هذا لهم قبل أن يلفظوا النفس الأخير ، فهم في ضلال مبين وخطير . وأنا إنما أشعر بالاضطرار إلى القول للمسيح ولشعبه الغالي ، مع أن البعض قد يظنون ذلك قسوة مني ، إن مَن يحاولون التمسك بمثل هذا المبدإ يبدون لي أنهم « تُغْلِقُونَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ قُدَّامَ

النَّاسِ ، فَلاَ تَدْخُلُونَ أَنْتُمْ وَلاَ تَدَعُونَ الدَّاخِلِينَ يَدْخُلُونَ » (متى ٢٣: ١٣) . حينما ينادي حراس إسرائيل في مسامع الناس بأن أحداً لم ولن يثبت في المسيح فلا يخطئ على الأرض ، وأن الله الذي حلف أن يفعل ذلك وأقام المسيح قرن خلاص لنا ليوفي بالقسم ، لن « يُعْطِيَنَا إِنَّنَا بِلاَ خَوْفٍ ، مُنْقَذِينَ مِنْ أَيْدِي أَعْدَائِنَا ، نَعْبُدُهُ بِقَدَاسَةٍ وَبِرّ قُدَّامَهُ جَمِيعَ أَيَّامِ حَيَاتِنَا » ، فماذا عسانا أن نتوقع ، سوى أن كثيرين مِمَّن يتمنون النجاة من الخطية سييأسون من نوالها ، فيخضعون في قنوط لمشيئة أعدائهم الروحيين ، ويعيشون حياتهم في أنين رازحين في عبودية ثقيلة بدلاً من التمتع بالعتق الذي يعتقهم به المسيح ، بينما يبتهج الآخرون لوجود مثل هذا العذر لخطاياهم ، فيعزُّون أنفسهم في دنويتهم واستغراقهم في الممارسات غير المقدسة بشعورهم أنه لا يُتوقَّع منهم الحياة دون خطية . لن أحاول كتمان أن هذا يبدو لي مثل فخ بارع وخطير نصبه العدو الألد للمسيح وكنيسته . فيبدو لي أن فيه يكمن « الضلال المبين والخطر » وليس في إخبار المسيحيين بأن فاديهم « يُقَدِّسُكُمْ بِالتَّمَامِ . وَلْتُحْفَظْ رُوحُكُمْ وَنَفْسُكُمْ وَجَسَدُكُمْ كَامِلَةً بِلاَ لَوْمٍ عِنْدَ مَجِيءِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ » ، عندما يؤمنون فيه أن يحقق لهم

تلك البركة .

السبب الثالث

وأنا لا أقدر أن آخذ بتحذيركم لأن الآيات الكتابية التي تعتمدون عليها كشاهد على عدم حدوث أن المسيحي « يَثْبُتُ فِيهِ لاَ يُخْطِئُ » تبدو لي وكأنها لا صلة لها بالموضوع . إليكم مثلاً الفقرة التي اقتبستها لجنتكم وتبنتها كإثبات دامغ على صحة رأيكم :

« لاَ إِنْسَانٌ صِدِّيقٌ فِي الأَرْضِ يَعْمَلُ صَلاَحًا وَلاَ يُخْطِئُ » (الجامعة ٢٠:٧) . دعونا نطبق هذا على اختبار بولس الرسول : « قَدْ جَاهَدْتُ الْجِهَادَ الْحَسَنَ ، أَكْمَلْتُ السَّعْيَ ، حَفِظْتُ الإِيمَانَ » (٢تيموثاوس ٤:٧) . يالكبرياء وعجرفة اللهجة التي يتحدث بها بولس هنا ! لابد أنه كان منتفخاً بالكبرياء الروحية ! ألم يعلم أن الكتاب المقدس يصرح بجلاء أن « لاَ إِنْسَانٌ صِدِّيقٌ فِي الأَرْضِ يَعْمَلُ صَلاَحًا وَلاَ يُخْطِئُ »؟ فكيف يجرؤ على القول : « قَدْ جَاهَدْتُ الْجِهَادَ الْحَسَنَ »؟ ولكن إذا افترضنا أنه سُمِح لبولس بالدفاع عن نفسه ، فاتخذ الموقف

المنسوب إليه من قِبَل الذين يعتبرون عقيدة التقديس الكامل بالإيمان في المسيح « ضلالاً مبيناً وخطيراً » ، واستهل دفاعه بالقول : « أنا أقر بوجود خطايا كثيرة في قلبي ، وأنه حتى أفضل تصرفاتي مُدنَّسة بها ، ومع ذلك أعتقد أني حصلت على قدر من محبة الله ، وقدر من الرغبة في تمجيده بصنع مشيئته ، وقدر من الاستعداد أن أُنفِق وأُنفَق في سبيل خدمته ، وأكِدّ لدعم قضيته » . فقد نتقدم ونقول أيضاً : يا بولس ، أنت مخطئ ولا شك . أنت ترتئي في نفسك فوق ما ينبغي ، لأن الله صرَّح تصريحاً إيجابياً لا سبيل إلى إنكاره بأن « لاَ إِنْسَانٌ صِدِّيقٌ فِي الأَرْضِ يَعْمَلُ صَلاَحًا وَلاَ يُخْطِئُ » ، ولذلك ، يا بولس ، فإن افتراضك بوجود شيء من الخير فيك مردود .

إن نَصَّكم ، أيها الإخوة ، يناقض آراءكم عن الحق تماماً ، كما يناقض آرائي . وهو – في اعتقادي – لا يمت بصلة لا إلى هذا ولا إلى ذاك . والحق أنه توجد فئة كبيرة من الآيات الكتابية المُصمَّمة لتوضيح حقيقة شر البشرية بطبيعتها وممارستها ، حتى التجديد (انظر تكوين ٦ : ٥) . بيد أنه « إِنْ كَانَ أَحَدٌ فِي الْمَسِيحِ فَهُوَ خَلِيقَةٌ جَدِيدَةٌ : الأَشْيَاءُ الْعَتِيقَةُ قَدْ

مَضَتْ ، هُوَذَا الْكُلُّ قَدْ صَارَ جَدِيدًا » (٢كورنثوس ٥:١٧) . إن طبيعة مثل هذا الإنسان تختلف اختلافاً بيِّناً عما كانت من قبل ، والفقرات التي وصفت خُلُقه من قبل لا تقدر أن تصفه الآن . وبالتالي نجد أن الآيات التي تصف الطبيعتين تناقض بعضها البعض تناقضاً مباشراً . إذاً ففي حين يقال إنه « لاَ إِنْسَانٌ صِدِّيقٌ فِي الأَرْضِ يَعْمَلُ صَلاَحًا وَلاَ يُخْطِئُ » ، يقال أيضاً إننا نحن الذين كنا قبلاً « أَجْنَبِيِّينَ وَأَعْدَاءً فِي الْفِكْرِ ، فِي الأَعْمَالِ الشِّرِّيرَةِ » ، سنُحضَر « قِدِّيسِينَ وَبِلاَ لَوْمٍ وَلاَ شَكْوَى أَمَامَهُ ، إِنْ ثَبَتُّمْ عَلَى الإِيمَانِ ، مُتَأَسِّسِينَ وَرَاسِخِينَ وَغَيْرَ مُنْتَقِلِينَ عَنْ رَجَاءِ الإِنْجِيلِ » (كولوسي ١:٢١-٢٣) . وكتتميم لقسم الله بواسطة المسيح ، قرن خلاصهم ، سيُعطَى لهم أنهم « بِلاَ خَوْفٍ ، مُنْقَذِينَ مِنْ أَيْدِي أَعْدَائِنَا ، نَعْبُدُهُ بِقَدَاسَةٍ وَبِرّ قُدَّامَهُ جَمِيعَ أَيَّامِ حَيَاتِنَا » . « كُلُّ مَنْ يَثْبُتُ فِيهِ لاَ يُخْطِئُ » ، « وَإِلهُ السَّلاَمِ نَفْسُهُ يُقَدِّسُكُمْ بِالتَّمَامِ . وَلْتُحْفَظْ رُوحُكُمْ وَنَفْسُكُمْ وَجَسَدُكُمْ كَامِلَةً بِلاَ لَوْمٍ عِنْدَ مَجِيءِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ » ، « لأَنْ مَهْمَا كَانَتْ مَوَاعِيدُ اللهِ فَهُوَ فِيهِ « النَّعَمْ » وَفِيهِ « الآمِينُ » ، لِمَجْدِ اللهِ ، بِوَاسِطَتِنَا » . وحين يصدقون أن المسيح سيحقق لهم هذه المواعيد ، فلن يمكنها أن لا تتحقق . فمن الواضح جداً أن

تلك المقاطع الكتابية التي يُعتَمد عليها لإثبات أن شعب الله لن « نُحْضِرَ كُلَّ إِنْسَانٍ كَامِلاً فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ » أثناء حياته ، مُصمَّمة لتوضيح طبيعة غير المُجدَّدين ، لا طبيعة مَن هم في المسيح يسوع ، والذين هم « خَلِيقَةٌ جَدِيدَةٌ : الأَشْيَاءُ الْعَتِيقَةُ قَدْ مَضَتْ ، هُوَذَا الْكُلُّ قَدْ صَارَ جَدِيدًا » . وبطبيعة الحال ، ما يحق على فريق لا يمكن أن يحق على الفريق الآخر ، لأن الوحي يبيّن لنا أنهما في تضاد تام .

ولكن دعونا نفترض أنه بين قديسي العهد القديم لم يعش أحد بلا خطية ، مع إنه قيل عن إشعياء بعد اعترافه بنجاسته ومُسَّت شفتاه بجمر متقد من على مذبح الله : « إِنَّ هذِهِ قَدْ مَسَّتْ شَفَتَيْكَ ، فَانْتُزِعَ إِثْمُكَ ، وَكُفِّرَ عَنْ خَطِيَّتِكَ » (إشعياء ٦:٧) ، وإنما قلنا إن قديسي العهد القديم كانوا مُدنّسين دائماً بذنب تعدياتهم الفعلية ، فهل لا يُعطَى أي امتياز لعشب الله الآن ، لم يكن مُتاحاً للقديسين الأوائل؟

(١بطرس ١:٨-١٢) : « الَّذِي وَإِنْ لَمْ تَرَوْهُ تُحِبُّونَهُ . ذلِكَ وَإِنْ كُنْتُمْ لاَ تَرَوْنَهُ الآنَ لكِنْ تُؤْمِنُونَ بِهِ ، فَتَبْتَهِجُونَ بِفَرَحٍ لاَ

يُنْطَقُ بِهِ وَمَجِيدٍ ، *نَائِلِينَ غَايَةَ إِيمَانِكُمْ خَلاَصَ النُّفُوسِ* . الْخَلاَصَ الَّذِي فَتَّشَ وَبَحَثَ عَنْهُ أَنْبِيَاءُ ، *الَّذِينَ تَنَبَّأُوا عَنِ النِّعْمَةِ الَّتِي لأَجْلِكُمْ* ، بَاحِثِينَ أَيُّ وَقْتٍ أَوْ مَا الْوَقْتُ الَّذِي كَانَ يَدِلُّ عَلَيْهِ رُوحُ الْمَسِيحِ الَّذِي فِيهِمْ ، إِذْ سَبَقَ فَشَهِدَ بِالآلاَمِ الَّتِي لِلْمَسِيحِ ، *وَالأَمْجَادِ الَّتِي بَعْدَهَا* . الَّذِينَ أُعْلِنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ *لَيْسَ لأَنْفُسِهِمْ ، بَلْ لَنَا كَانُوا يَخْدِمُونَ بِهذِهِ الأُمُورِ الَّتِي أُخْبِرْتُمْ بِهَا أَنْتُمُ الآنَ* ، بِوَاسِطَةِ الَّذِينَ بَشَّرُوكُمْ فِي الرُّوحِ الْقُدُسِ الْمُرْسَلِ مِنَ السَّمَاءِ . الَّتِي تَشْتَهِي الْمَلاَئِكَةُ أَنْ تَطَّلِعَ عَلَيْهَا » .

ما هي غاية الإيمان ، خلاص النفوس ، الذي فتّش عنه الأنبياء واجتهدوا في البحث عنه؟ وما هي هذه النعمة التي تنبأوا أنها ستصل إلى القديسين المشتتين الذين كتب إليهم بطرس؟ وما هو ذاك المجد الذي يأتي بعد آلام المسيح؟ ما هي الأمور التي خدم بها الأنبياء ، ليس لأنفسهم بل لأولئك الذين كُرز إليهم بالإنجيل لاحقاً بواسطة الروح القدس النازل من السماء ؟ ما الذي قصده المسيح حينما قال : « هذَا هُوَ دَمِي الَّذِي لِلْعَهْدِ الْجَدِيدِ » ؟(متى ٢٦ : ٢٨) . ثم ماذا قصده بولس بذلك العهد الجديد والأفضل الذي كان المسيح وسيطاً وضامناً له؟ وماذا

قصد المسيح إذ قال : « إِنَّهُ بَيْنَ الْمَوْلُودِينَ مِنَ النِّسَاءِ لَيْسَ نَبِيٌّ أَعْظَمَ مِنْ يُوحَنَّا الْمَعْمَدَانِ ، وَلكِنَّ الأَصْغَرَ فِي مَلَكُوتِ اللهِ أَعْظَمُ مِنْهُ » ؟ (لوقا ٧:٢٨) . وماذا قصد زكريا بقوله : « مُبَارَكٌ الرَّبُّ إِلهُ إِسْرَائِيلَ *لأَنَّهُ افْتَقَدَ وَصَنَعَ فِدَاءً لِشَعْبِهِ* ، وَأَقَامَ لَنَا قَرْنَ خَلاَصٍ ... لِيَصْنَعَ رَحْمَةً مَعَ آبَائِنَا وَيَذْكُرَ عَهْدَهُ الْمُقَدَّسَ ، الْقَسَمَ الَّذِي حَلَفَ لإِبْرَاهِيمَ أَبِينَا »؟ ليس كل هذا إلاّ بركة العهد الجديد الذي قيل على لسان إرميا ورددده الله في رسالة بولس إلى العبرانيين : « لأَنَّ هذَا هُوَ الْعَهْدُ [لأنهم خرقوا عهدي القديم] الَّذِي أَعْهَدُهُ ... أَجْعَلُ نَوَامِيسِي فِي أَذْهَانِهِمْ ، وَأَكْتُبُهَا عَلَى قُلُوبِهِمْ – [وقال الله مؤكداً قوله بقسم] إنه « يُعْطِيَنَا إِنَّنَا بِلاَ خَوْفٍ ، مُنْقَذِينَ مِنْ أَيْدِي أَعْدَائِنَا ، نَعْبُدُهُ بِقَدَاسَةٍ وَبِرّ قُدَّامَهُ جَمِيعَ أَيَّامِ حَيَاتِنَا » . هذا هو إذاً الامتياز الخاص لقديسي العهد الجديد : الخلاص من خطاياهم . هذا يوضح كل الآيات التي استشهدت بها ، وبالتالي كل ما قد حق قوله على قديسي العهد القديم . إنه الآن الامتياز الخاص لشعب الله أن يُفتدوا من كل إثم ، وكل ما عليهم لنوال ذلك هو الإيمان بوسيط هذا العهد الجديد . هذا عهد الله معهم أن يرفع خطاياهم . ولذلك فعليَّ أن

أرفع امتياز العهد الجديد هذا عالياً أمام شعب الله ، وأنادي بالتمتع الكامل به ، وهكذا أنشد – مثل الرسل – الحصول على « كِفَايَتُنَا مِنَ اللهِ ، الَّذِي جَعَلَنَا كُفَاةً لأَنْ نَكُونَ خُدَّامَ عَهْدٍ جَدِيدٍ . لاَ الْحَرْفِ بَلِ الرُّوحِ . لأَنَّ الْحَرْفَ يَقْتُلُ وَلكِنَّ الرُّوحَ يُحْيِي » (٢كورنثوس ٣: ٥-٦) . من ثم فإن تطبيقكم لتصريحات العهد القديم عن انتشار خطية الإنسان لتوضيح امتيازات مؤمني العهد الجديد ، خاطئ كل الخطإ . وهذا إنما يوضح كيف أنكم لا تزالون خدام العهد القديم بدلاً من أن تكونوا « كُفَاةً لأَنْ نَكُونَ خُدَّامَ عَهْدٍ جَدِيدٍ » . فمن أجل هذا السبب لا أستطيع أن آخذ بتحذيركم ، لأن مرادي أن أكون خادم عهد جديد ، لا خادم عهد قديم .

السبب الرابع

والآن سأقدم سبباً آخر لعدم أخذي بتحذيركم ، وأكون قد انتهيت .

يوجد أمامي فراش موت وعرش قضاء حيث أتوقع أن أقف وأعطي حساباً عن كل تصرفات حياتي .

فهل يمكنني إخبار شعب الله أن ليس لهم مخلص من الخطية أثناء حياتهم كلها ، وأنه مهما طال بهم العمر واجتهدوا لإيجاد سبيل الحياة ، وصلوا بأشد حرارة ، ووثقوا في مخلصهم أن يتمم وعوده كاملةً كما يحق ، فإنهم مقضي عليهم بارتكاب الخطية في حق الفادي الذي يحبونه حتى ساعة وفاتهم ، وأن كل صرخاتهم وصراعاتهم لا طائل منها ، وأنهم مضطرون – إلى حد ما – أن يكونوا متمردين على قلب المحبة اللانهائية حتى يُطِل وحش الموت بوجهه الكالح لينجيهم؟ هذا بالنسبة لي مثل إلقاء التراب في أعين من يودون التعرف على طريق يمكنهم من محبة الله ومخلصهم من قلب كامل ، وخياطة « وَسَائِدَ لِكُلِّ أَوْصَالِ الأَيْدِي » (حزقيال ١٣ :١٨) لمن يتمنون اجتياز الحياة في فسادهم الباقي آملين أن يعثروا على مخلص من خطيتهم فقط بعد أن تكون كل فرص الاستمتاع بالخطية قد مضت .

إني أشعر ، أيها الإخوة ، أني لا أقدر أن أمضي بسلام إلى وسادة موتي أو أمثل أمام المحكمة العليا متوقعاً استحسان ديباني ، ما لم أخبر شعب الله بوعده أن « يَخْتِنُ ... قَلْبَكَ وَقَلْبَ

نَسْلِكَ ، لِكَيْ تُحِبَّ الرَّبَّ إِلهَكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ » ، « وَأَرُشُّ عَلَيْكُمْ مَاءً طَاهِرًا فَتُطَهَّرُونَ . مِنْ كُلِّ نَجَاسَتِكُمْ وَمِنْ كُلِّ أَصْنَامِكُمْ أُطَهِّرُكُمْ » . قد أُعطيت هذه المواعيد ، مع مواعيد عظمى وثمينة أخرى ، حتى أنهم من خلالها « نُطَهِّرْ ذَوَاتِنَا مِنْ كُلِّ دَنَسِ الْجَسَدِ وَالرُّوحِ ، مُكَمِّلِينَ الْقَدَاسَةَ فِي خَوْفِ اللهِ » ، وأنه من خلال هذه المواعيد يصبحون « شُرَكَاءَ الطَّبِيعَةِ الإِلهِيَّةِ ، هَارِبِينَ مِنَ الْفَسَادِ الَّذِي فِي الْعَالَمِ بِالشَّهْوَةِ » .

وأنا أشعر أنه من المهم جداً لكرامة المسيح وصالح قضيته ، وقداسة وسلام ميراث تألمه أن يُعلَموا بأنه قد خرج « مِنْ صِهْيَوْنَ الْمُنْقِذُ وَيَرُدُّ الْفُجُورَ عَنْ يَعْقُوبَ » (رومية ١١ : ٢٦) . وأن الله قال عن هذا المنقذ : « هذَا هُوَ الْعَهْدُ مِنْ قِبَلِي لَهُمْ مَتَى نَزَعْتُ خَطَايَاهُمْ » (رومية ١١ : ٢٧) . يبدو لي أن شعب الله المؤمن به لا يعرفون منقذهم ، وأنه توجد جموع هائلة من غير المستعدين لمعرفته بأي حال من الأحوال . ومن ثم كان اللوم المُوجّه إلى القائلين بأن « مِنْ صِهْيَوْنَ الْمُنْقِذُ وَيَرُدُّ الْفُجُورَ عَنْ يَعْقُوبَ ... مَتَى نَزَعْتُ خَطَايَاهُمْ » . لكني لا أرى كيف أقدر أن أرقد في سلام على وسادة موتي ، أو ألاقي المخلص في القضاء أمام

العالم ، ما لم أفعل كل ما بوسعي لأخبر به . إني أشعر بالاضطرار إلى الصياح في مسامع الكنيسة : هوذا منقذكم . قد أتى ليرد الفجور عنكم وينزع خطاياكم . اُنظروا إليه وآمنوا باسمه ، « فَانْتُزِعَ إِثْمُكَ ، وَكُفِّرَ عَنْ خَطِيَّتِكَ » (إشعياء ٦:٧) .

والآن قد انتهيت ، أيها الإخوة . ولا أستطيع أو أتجاسر- من أجل الأسباب التي ذكرتها وعلى ضوء حسابي الأخير- أن أستمع إلى تحذيركم ولو للحظة . ولتفعلوا باسمي [بسمعتي] ما ترونه حسناً أمام الله وعلى ضوء الدينونة المقبلة . وليس عندي ما أدافع به عن نفسي سوى ذلك . فإذا لم تستطيعوا الاعتراف بي كواحد منكم وأنا أخبر كنيسة المسيح بأن المسيح أُظهِر لينزع خطاياهم ، وأنه يليق بهم الثبات فيه فلا يخطئون ، وأنه امتيازي وامتيازهم أن نثبت هكذا في المسيح ، وإذا كانت مثل هذه الثقة في فاديَّ أن يحقق مواعيده لي العظمى والثمينة تجعلني - في حسبانكم - مناصراً لضلالة مبينة وخطيرة ، فلتمحوا اسمي إذاً من كتابكم ، وليُدوَّن هذا الإجراء كما سيكون في سفر الله الذي سيُراجع أمام العالم في اليوم الأخير . صحيح أني أعتنق العقيدة التي تدعونها ضلالاً مبيناً وخطيراً ، وأومن

أنـها ألمع ما في مجد إنجيل مخلصي الذي سفك دمه ، وأنا عالم أنكم إذا عرفتم غبطة الثقة الكاملة في المسيح فادياً لكم من كل إثم ، لكنتم اخترتم هلاك ألسنتكم عن أن تصفوا هذه العقيدة بأنها ضلال مبين وخطير . ولكن إذا كنتم متمسكين بهذا الرأي ، فعليَّ أن أعتبر نفسي غير منتمٍ لكم ، وينبغي أن تفعلوا معي ما تظنون أن ربنا وسيدنا يطالب به . «وَإِلهُ السَّلاَمِ الَّذِي أَقَامَ مِنَ الأَمْوَاتِ رَاعِيَ الْخِرَافِ الْعَظِيمَ ، رَبَّنَا يَسُوعَ ، بِدَمِ الْعَهْدِ الأَبَدِيِّ ، لِيُكَمِّلْكُمْ فِي كُلِّ عَمَل صَالِحٍ لِتَصْنَعُوا مَشِيئَتَهُ ، عَامِلاً فِيكُمْ مَا يُرْضِي أَمَامَهُ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ ، الَّذِي لَهُ الْمَجْدُ إِلَى أَبَدِ الآبِدِينَ . آمِينَ » .

شريككم في الإنجيل ،

تشارلز فِتش .

خطاب

بقلم تشارلز فِتش ، من مجلة *Midnight Cry*
٢١ ديسمبر ١٨٤٣ .
كليفلاند ، أوهايو ، ٥ ديسمبر ، ١٨٤٣ .

عزيـزي الأخ هــايمز :

اليـوم وضعـت ابـني العزيــز « ويلــي » في القــبر ، وكــان سـيبلغ السـابعة مـن العمـر في الخـامس عشـر مـن الشــهر الحــالي . ولسـت مضطـراً لإخبـارك بـأن قلــبي ينفطــر ، ولا أقـدر أن أعـبر لـك عـن مـدى تـألمي . فمنـذ عشـرة شـهور أصيـب بروماتزم التـهابي سـبب لـه مرضـاً عضويـاً في القلـب . كـان مرتاحـاً طــول الصيــف ، وذهــب معنـا إلى الشـرق . وظـل نشـطاً يتحــرك حتــى نهايــة أكتوبــر . وفي أثنـاء غيـابي في ذلـك الوقـت ، أُنـهِكت قـواه . ولـدى عودتـي ، قـال لــي الأطبـاء إن حالتــه ميئـوس منـها . وكــم تــألم قلــبي لرؤيــة الحيــاة تُعتَصر منــه اعتصـاراً ، ثـم سـرت وراءه حيـث القـبر البـارد!

أثناء مرضه وقفت بجانبه وراقبت ثلاثة أسابيع ، وضممته في صدري لأخفف آلامه ، ورتلت له بناء على طلبه المتكرر تراتيل المجيء الثاني لأُسرِّي عنه ساعاته الطوال . كانت طلبته مني كل ساعة : « رتل لي يا أبي » . فأسأله : « ماذا أرتل يا عزيزي؟ » فكان يجيبني : « إلى متى أيها الرب مخلّصنا » وأيضاً : « اُنظروا ، ما أمجد المشهد الذي يُرَى » وكذلك : « أراك بالإيمان » . وبعد ثلاثة أسابيع ظننت أن حياته ستطول لعدة أسابيع تالية ، فلبّيت نداء الواجب وابتعدت عنه بقلب متألم ، وذهبت يوم الاثنين من الأسبوع الماضي إلى مقاطعة هورون لأكرز بملكوت الرب . وفي صباح يوم السبت من الأسبوع الماضي وأنا في فيرفيلد ، بعيداً عن البيت بستين ميلاً ، أيقظني من نومي مرسال قال لي : « ولدك مات » . فأسرعت إلى البيت ، ووضعناه لتونا في فراشه المتواضع . لقد كان الاختبار مؤلماً مؤلماً ، لكن الرب أعاننا ، ولنا رجاء في موته .

لما كان عمره ثلاث سنوات ، اعتدت على سرد وقائع حياة مخلصنا له بلغة تتناسب مع قدراته ، بغرض تعليمه أن يعرف

ويحب شخص يسوع . فصار مهتماً للغاية ، وكان يصعد على ركبتي كثيراً ويقول : « قد حان الوقت يا أبي لتخبرني شيئاً عن المخلص المبارك » . وبعدها بمدة ، نهض من سريره في باكر أحد الأيام ، وجاء إليَّ مردداً اسمي ليلفت نظري إليه وأنا أتحدث . قال : « المخلص المبارك هو مخلصي » . وقد نطق بهذا في وقت لم يكن هناك من شيء يلفت نظره للموضوع . وكانت نبرته أحلى من أي نبرة وقعت على مسامعي . ومنذ ذاك الحين وإيمانه بالرب لم يحِد قط . ولما قالت له أخته التي تكبره ببضعة أعوام : « إن العمر لن يطول بك لتصبح رجلاً . المخلص قادم عن قريب ، والعالم سيحترق » ، كان رده : « لا يهمني ، ما دام المخلص سيعتني بي » .

ولما رآني منزعجاً بسبب بعض الظروف التي باغتتني ، وكان الواجب أن لا أتأثر بها ، قال بأسلوبه الهادئ المُتروِّي : « المخلص قادم سريعاً جداً ، وحينئذٍ لن يكون ضيق » .

لقد أبدى في مرضه استسلاماً كاملاً . فلم يُعرِب أثناء فترة مرضه بطولها عن رغبة في الشفاء أو تخفيف حدة الألم عنه .

وحينما أعربت أنا عن مثل هذه الرغبة ، أجاب : « إن المخلص يقدر أن يشفيني إذا أراد أن يشفيني » . لقد احتفظ برشده حتى النهاية ، وكان على علم تام بأنه يموت ، فتمالك نفسه وأغلق عينه ومات بهدوء تام وكأنه وضع رأسه على الوسادة لينام في تمام الصحة .

وهو لم يكن منزهاً عن حماقات الأحداث وعيوبهم ، ولكننا نؤمن أنه عاش ومات على ثقة بالمسيح ، ولا يساورنا شك في أن المخلص المبارك هو حقاً مخلص ويلي .

قد يجدر بي الاعتذار عن شغل وقتك بمثل هذه الأمور التي لا تخص أحداً سوانا ، ولكن حين تجيش صدورنا بالتنهدات التي لا نقدر أن نكبتها ، وتفيض عيوننا بالدموع الفياضة ، نحب أن نفتح قلوبنا بأكملها لَمن نعلم أن لهم قلوباً تحس وتشعر . وجدير بالذكر أننا نعمنا بأصدقاء في جميع بلايانا ، وأنهم كانوا نِعم الأصدقاء .

تشارلز فِتش .